إلى القارئ

ان المجهود المبذول ـ سواء فى مستوى الحكومة وبعض البلديات أم فى نطاق المؤسسات الشعبية والجمعيات الأدبية ـ لبعث الثقافة القومية باعتبارها من مقومات الامة والغذاء الروحى الضرورى للأجيال الصاعدة ، لا يزال متواصلا مطردا ٠

ولا أدل على ذلك من الخطاب الذى القاه السيد رئيس الجمهورية التونسية فى غضون الشهر المنصرم حول شؤون المسرح التونسي ، واقعه ومشاكله وطرق النهوض به ، على أساس أنه ركن من أركان الثقافة ومظهر من مظاهر رقى الأمم العصرية ورهافة حساسيتها وسلامة ذوقها ٠

وقد أعلن المسؤول الأول فى هذه البلاد عن عزمه على اتخاذ الاجراءات الكفيلة ببعث المسرح ، وأهم وأطرف ما تقرر فى هذا الصدد انشاء الجمعيات المسرحية المدرسية التى نرجو ان يكون لها شأن كبير ، لا لأنها توفر للشباب تسلية بريئة جديدة الى جانب الرياضة والموسيقى والكشفية فحسب ، بل لأنها كذلك تمكن من اكتشاف المواهب الكامنة وصقلها وتهيىء بالتتابع العدد الكافى من طلبة الفن المسرحى الذين ستعتمد البلاد عليهم فى ارساء قواعد المسرح القومى على أسس علمية صحيحة ثابتة ٠

ولا بد كذلك من القيام بحملة واسعة النطاق لتهذيب الجمهور وتبصيره بآداب المسرح ولا يمكن أن يصلح أحد من شأنه اذا تمادت بعض الفرق المسرحية تدغدغ ميول بعض النظارة وتتواطأ مع أذواقهم السقيمة بل ان رسالة المسرح تهدف ـ مع معالجة منزلة الانسان وتحليل همومه وأشجانه ومطامحه ـ الى تهذيب الشعب وتقويم العيوب وتزكيه الأذواق ٠

لذلك يتأكد تأسيس الفرق الشعبية وتكليفها برفع لواء المسرح فى البوادى والارياف حتى يثقف الجمهور فى جميع انحاء الجمهورية ويكتشف « المتعة الأدبية » ويشعر « بالحاجة » الى هذا الغذاء الثقافى الممتاز ويكون ذلك باختيار الروايات الملائمة واتقان الاخراج ٠

وهذا ما توضح به، من جديد، مشكلة المشاكل الا وهي الانتاج المسرحي٠ وعسي أن تتظافر الجهود وترصد الجوائز وتتسع دائرة التوجيه كي ينصرف أدباؤنا الى هذا الميدان؛ واذا ما اهتدوا الى استيحاء بيئتهم وسبر اغوار مجتمعهم و « الشهادة » على عصرهم ووفقوا الى حذق بناء المسرحية بالمطالعة والتثقف المتواصل ، فلا يمكن ألا يخلقوا وألا يبدعوا وألا يشيدوا « المسرح التونسى » ويحظوا بشرف المساهمة فى بناء الثقافة القومية ٠

الفكر

حــربنــا المقبلــة

بقلم : **البشير المجدوب**

واذن فقد تبدأ الرواية المأساة٠فليهنأ النظارة هواة مصارعة العبيد ومهارشة الثيران ٠ المشهد أمتع ما يكون اثارة للاعصاب الترفة والاذواق الرفيعة ٠

ان هو الا فصل واحد لحظات معدودات ويطوى عمل السنين والدهور ٠

هؤلاء الصبيان يمرحون امامك ضاحكي الثغور، أظرف من الفراش وابهج من الطيور كل الصبيان فى جميع اقطار الارض ٠ أى شيء يتمنى لهم العاقــل ويرجوه ؟!

أليس الافضل ان يموتوا على بكرة ابيهم ، ان يلقوا حتفهم اليوم ، الساعة ، بدلا من ان يمثل بهم ويشوهوا ويفجعوا فى وداعة طفولتهم ونضرة صباهم ،

واطفالنا بالمدارس وطلابنا « وجاحظنا » وتمجيده للكتاب وحثه على نشر العلم ونقاش التلاميذ حول هذا الرأى او ذاك فى جو مفعم باللذة والنشاط ؟! لم ولمن يسعى هؤلاء جميعا ؟

لكأنه السخف والغفلة والسذاجة ٠ علماء بيزنطــة يتحاورون حــول جنس الملائكة وجحافل الترك محدقة بالمــدينة تستعد للفتك بملكهم والقضاء عليهم

وان أشد العجز عجز القوى الجبار ، مهما فعل ، عن اتقاء الحرب ودفع البلاء وتلافى الضرر ٠ ولهو من سخرية الاوضاع وشذوذ منطق الاحوال ان تتكافأ القوى المتفاوتة ويستوى أذن كل من الضعيف والقوى الاقوى ٠

أية قوة ، أى عقل وأية حكمة تستطيع أن تغنى فى مثل هذه الحال ٠

انه العجز امره وافظعه وابشعه ان تجد نفسك والبشر جميعا أمام واقــع كالقضاء حتمية وجبرا وقهرا ، وأن تقع فى الحيرة الضنك فلا تدرى ما تصنع ولا ماذا تفكر وماذا تحس ؟

حتى الاحساس يفلت زمامه منك !

أتنقلب شاعرا ترثى الارض ومن عليها ؟

أتصرخ ؟ أم تحتج ؟ أو تنصح وتحذر ؟

أم تلتمس لنفسك نفقا فى الارض أو معتزلا فى الصحراء ؟

أم تعرض عن كل ذلــك وتنغمس فى نعيمك المألــوف وطــربك وسماعك وتقبل على حياتك متذوقا اياها خمرة نواسية مزة ، غيبوبــة رائعــة ممزوجــة باصداء من اناشيد شاعرك الخيام ؟!

لقد أسقط فى يدك وتعددت السبل أمامك فاجمع وفرق ، وأقبل وأدبر ، كل ذلك سواء ·

ومن أعجب الأمور أننا ندعي اليوم هكذا ، فجأة ، للنظر من جديد فى قيم وأحكام ومفاهيم صاغتها جهود آلاف السنين ونطفر بين عشية وضحاها الى تصحيح عقولنا وتعديل آرائنا ، أستغفر الله ! بل هو غسل لعقولنا وتنظيف لها من سموم الاوهام وجراثيم الغباء والبلادة ·

أنقول ان الانسان طفل كبير لا أكثر · قوى أداة وازداد شوكة وعدة ولكنه فى مثل نزق الطفل تصرفا ! يبنى ويهدم ويجد فى الهدم نظير بل أضعاف ما يجد من لذة فى البناء !؟

أيصح اعتباره كائنا غير مسؤول كما هو الطفل سواء بسواء ؟

أنقول انه معتوه سفيه لا يسأل عما يفعل ولايؤخذ بما اقترف والذنب ليس ذنبه ، انه ذنب هؤلاء الذين عظموه ومجدوه ومنحوه بغرورهم وغبائهم ما ليس له من صفات المثالة والنبل والمروءة !؟

ونتجنى مع ذلك على ابليس ونظلمه ظلما · هاهو الانسان ليس كمثله مارد ولا كمثله عملاق مدمرا للحياة ومكدرا للنور وباعثا للخراب ·

انه استطاع ــ يا للنصر المبين ! ــ ان يتحدى الرب ويفسد ما خلقه الله ·· أن يعقم الارض وأرحام النساء ويكشط الجلود ، أن يعمى ويصم ، أن يفصم وحدة الكون ···

عبقرية الهدم ليس لها من حدود !!

* * *

ولكن ستنتصر الحياة ! لانه ينبغى أن تنتصر الحياة
لان هذه المعركة معركة الحق والباطل
وما كان الحق ــ ولو هزم ــ لينحنى ويسفل !!
وإنه لمن الحياة أن تموت من اجل الحياة
ولأن تمحى من الوجود خير من البقاء طعمة مسخرة للوحوش
ولأن الوجود ، قبل كل شىء ، معنى وهدف وغاية
لا مجرد حظ من العيش والمتعة
لا مجرد حضور وشهود على وجه الارض !
ولأن الانسان الحق لا يعرف ، فى مثل هذه الحال ، الا احد امرين : لا شىء أو كل شىء !!

البشير المجدوب
1962 ــ 10 ــ 25

أحبك

شعر : نور الدين صمود

أحبك .. أقسم بالنرجس ... وبالسحر في الاعين النّعس
وبالكرْم يلهث شوقا الى ... ثُغُورِ الاباريق والأكْؤُس
وبالموج موج نُضار الزروع ... يوشي البيادر بالسندس
بشَوق الملايين في أرضها ... لمحصولها الأنْفَس الانفس

* * *

بتلك الغلال وذاك الجنى ... بذكرى الشتاء وحلم الربيع
بمحراث شيخ يشق الثرى ... وقد أنهكته ليالي الصقيع
وبالعرق المُرِّ يكسو الجباه ... وقد مازجته الدِّما والدموع
وأقسم بالصيف فصل الثمار ... وفصل الحصاد حصادِ الزروع

* * *

برفرفة النور في مقلتيك ... يَمُدُّ خَيالي بسحر السنا
وبالبسمات العِذاب الطِّراب ... بثغرك تغمر عُمري هَنَا
بقلبك ذاكِ العطوفِ الحنونِ ... يبدد حزني ويفني الضَّنَى
أحبك يا بسمة العنفوان ... برغم الحواجز ما بيننا

* * *

أحبك مثل انبثاق الربيع ... يرش الرُّبَى بشذيّ الورود
فيغمر دنيايَ طِيبا وعطرا ... وتطفح روحي بحلو النشيد
ويغدو خيالي فَرَاشا شَرُودا ... يُسَابِقُ أحْلامَهُ في شُرُود
وأنتِ بقلبي كعمر الزمان ... فحبك صنو البقا والخلود

نور الدين صمود

اللا قصة .. ثورة في الادب القصصي الحديث

بقلم : مصطفى الفارسي

يدفعنا الى تقديم هذا البحث شغفنا بالادب الاوروبي المعاصر وخاصة بما سمي منه "اللاقصة" أو نفي القصة في الفن القصصي" أقول شغفنا وما هو في الحقيقة بشغف بل هو نوع من الحيرة الممزوجة بالاعجاب أمام ثورة أدبية عارمة ظهرت بوادرها في فرنسا ثم انتقلت منها الى انكلترا وستنتقل حتما ككل آفة وككل موضة الى ماوراء البحار في أجل قريب ولهذه الثورة زعماء وعملاء ودعاة ومناصرون ومن هؤلاء الزعماء من أحرز على الجوائز الادبية فذاع صيته واشتهر ونخص هنا بالذكر ثلاث جوائز اسندت أولاها الى كتاب "القموح" لروجي بوردياي واسندت الثانية الى "الراس" « Le Promontoire » "لصاحبه هنري توماس والثالثة أحرز عليها كتاب بعنوان "الحديقة" « Le Parc » "للكاتب فيليب سولار" وينتهي هؤلاء الكتاب الى النزعة الجديدة في أدب الرواية القصصية في فرنسا ويقابلهم في انكلترا « Rayner Heppen Stall » الذي طبع مؤخرا كتابا بعنوان « The comecting door » "باب بين غرفتين" ولم يقتصر هذا النوع من الادب القصصي على انتاج التاليف المطبوعة قبل أن تخطاها الى السينما ولنا في "السنة الفارطة في ماريانباد" للمؤلف « Robbe Guillet » والمخرج السينمائي المشهور « Alain Resnais » نموذج من هذا الفن الغريب الذي يحير ويبهر في آن واحد. وقد نجازف اذا قلنا أن لادب اللاقصة قراء كثيرين. فنوع هذا الادب كما يتوقع بعسر فهمه واستيعابه على القارىء العادي ولا يستميل الا قلوب النقاد بل طبقة من النقاد هي طبقة المتهافتين على كل جديد يطرأ على الادب اي طبقة النقاد المحترفين وهم قليل. لكن باستطاعتنا أن نجزم الآن أن هذا النوع من القصة بدأ ينتشر انتشارا كبيرا مما يخول حق الاهتمام به ودرسه والبحث عن مقاصده وأهدافه كما باستطاعتنا أن نجزم من الآن أن جمهرة النقاد في مجموعهم في حيرة من أمر هذا الادب القصصي الذي يرمي الى انتاج قصة خالية من العقدة القصصية ومن الشخصيات التي

تقوم عليها القصة عادة لذلك سموا هذا الادب الغريب "اللا قصة" أو نفي القصة في القصة « Anti-Roman » باللغة الفرنسية ويقابل ذلك باللغة الانكليزية « Anti - Novel » فما هو تركيب القصة في مدلولها الحديث هذا ؟
يمكننا أن نلاحظ هنا امرين او قطبين يرتج بينهما هذا الادب. فهو اولا أدب المحسوس يصور الاشياء تصويرا نكاد نقول حرفيا انّه يعتمد لا على الاساليب البديعية المعروفة بل على نوع من الالهام الفني الهندسي يبعد عن الادب المعهود بصورة ملحوظة "أما القطب الثاني فيكمن في الخلق الفني نفسه. في خلق الابهام والتفاني في ابرازه بشتى الوسائل للوصول الى المفاجأة « Suspense » ومن هذه الوسائل انعدام الشخصيات التي يمكن أن يتعرف عليها القارىء ويتبع حركاتها في حالات معينة مضبوطة ثم انعدام الفترة الزمنية او اخلالها قصدا ليخرج جو القصة العام من عالم الزمان المضبوط الى عالم الزمان المنحل اوعالم الابهام ذلك لان مؤلف القصة يرفض أن يتقيد بالزمان الذي هو فينظره من صنع البشر لا يمت الى الواقع بصلة ومعلوم أن الفيلسوف المعروف « Bergson » قد تعرض الى مشكلة الزمان وابتنى عليها جانبا من فلسفته. فهو يفرق بين زمنين . الزمان الذي تضبطه الآلة والذي نعرفه جميعا لاننا نتقيد به في عملنا اليومي في غدونا ورواحنا في مواعيدنا في أكلنا ونومنا وفي كل ما نقوم به من عمل يتطلب دقة المواقيت وضبط المواعيد. ثم الزمن الثاني وهوالزمن النفساني الذي لا يخضع للآلة ولا يعترف بدقة الساعة المعروفة و « Bergson » يدعم رأيه هذا بالحجج الكثيرة ومن هذه الحجج نذكر ما جاء في موضوع الانتظار يقول : « Bergson » انك اذا قضيت ساعة في انتظار صديق لك عزيز عليك لم تره منذ زمن بعيد. ثم انك اذا قضيت ساعة أخرى في انتظار كارثة من الكوارث تتوقع حدوثها. فان طول الساعة النفساني يختلف في كلتا الحالتين فهو أطول في الحالة الاولى منه في الحالة الثانية ويمكننا أن نتبسط في نظرية « Bergson » هذه حول الزمن الآلي والزمن النفساني لكننا نعتقد أن مجالنا هذا لا يسمح لنا بالتبسط في هذه النظرية وانما أشرنا اليها عرضا وقلنا ان أرباب القلم القصصي الجديد في فرنسا خاصة لا يريدون أن يتقيدوا بالمقاييس الزمنية . وهم يرفضون غيرها من المقاييس. فهم لا يقبلون مثلا المواضيع والاشكال الادبية التي شب على حبها

القارىء العادي ويعـدون الكثير من هذه المواضيع والاشكال سفسطة كلامية وطنطنة لفظية وتخمينات فلسفية وتكهنات نفسانية وغير ذلك من النُعُوت المزرية المشينة يلصقونها بالادب السني التقليدي.

كل هذا يجعلنا في حيرة. فنحن من جهة أمام فريق من الكتاب خرجوا عن المعتاد وكأنهم شقوا عصا طاعة الادب السليم القويم. ثم نحن من جهة أخرى أمام فريق من القراء بداو يستسيغون هذا الادب الجديد ، ويشملون أربابه ببعض العطف ربما انقلب الى شغف كبير في مستقبل الايام. فأول سؤال يتبادر الى الذهن هو البحث عن أسباب هذا العطف الذي يلاقيه كتاب القصة الجديدة عند القراء. فهنا يكمن سر نجاح هذا النوع من الادب أو فشله" وهنا يجدر أن نلقي نظرة عامة على موضوع "اللاقصة" في صلب الادب القصصي التقليدي.

نلاحظ أولا أن الادب بصورة عامة يمر الآن بازمة لا تختلف عن الازمات التي تمر بها المذاهب السياسية والاقتصادية والفنية والدينية. كما نلاحظ أن هذه الازمة ليست من صنع شرذمة من الادباء المهرجين الطائشين يدفعهم الى خوض غمارها دافع التظاهر أو غلو في الابتكار او تهافت على الشذوذ. فالازمة أخطر من أن تقف عند حد بعض المهرجين وخطورتها في قلبها لوضع كامل راسا على عقب فهي ترمي أول ما ترمي الى نفي كل المقاييس التي ابتنى على أسسها الفن القصصي في جوهره وفي كنهه وكيانه نفسه منذ بروز هذا الفن في أروبا الى يومنا هذا. فمن المعلوم أن الفنون تمر بمراحل من التطور الطبيعي تكسبها قوة ومتانة وتنوعا فهل تطور القصة التي أصبحت اليوم "اللاقصة" يمكن أن يعد مرحلة طبيعية كالمرحلة التي قطعها الادب من البارناس الى الرمزية. أو من الرومنطيقية الى الطبيعية ؟ فازمة الادب الحديث لاتقتصر على الاشكال والمظاهر بل هي تجتاح العناصر الاساسية التي كونت الى حد اليوم هيكل الانتاج الادبي وأبرزته في القالب الذي نعرفه له. مما يجعلنـا نتساءل عن أمرين : هـل سيكون حظ الادباء التقليديين الـذين يرفضون أن يتبعوا هذا السبيل الجديد هو نفس حظ الكثير من الكلاسيكيين المتخلفين الذين أبوا أن ينساقوا مع التيار الرومنطيقي فلم يخفظ لهم التاريخ أثرا وكان مئالهم النسيان والاهمال ؟ لايمكن بأية حال أن نتنبأ بما عسى أن

يكتب التاريخ لارباب الادب القصصي الحديث فليس من شأننا أن نحكم لهم أو عليهم في محل قراء المستقبل فهم سيتولون ذلك بأنفسهم كما ليس من شأننا أو بمقدورنا أن نجزم من الآن. "بخلود جانب من هذا الادب الحديث أو بعدم خلود الجانب الآخر.. لكننا رغم ذلك على يقين من أمر على الاقل وهو اننا أمام ازمة وامام وضعية جديدة لاشبه لها في تاريخ الادب القصصي بشتى مراحله وأطواره كما اننا على يقين من امر آخر هو وجود ادب تقليدي الى جانب هذا الادب الجديد لا يقل عنه شبابا ولاعنفوانا. أدب لم تنضب مناهله ولم تخمد أنفاسه ولم تبد عليه آثار التدهور والاضمحلال الى حد الآن. فنحن اذن نجد أنفسنا أمام أدبين أو قل أمام أدب ذي وجهين انقسم ليسلك مسلكين رئيسيين لا يقل الواحد منهما قيمة عن الآخر ولا مناعة ولا ارتكازا ولا خصبا.

فأما الطريق الاول فقد سلكها كتاب بمختلف نزعاتهم الادبية ومذاهبهم الفلسفية أو طرقهم في الانتاج والتأليف. من أمثال سارتر وكامو وغيرهما كثير من المشهورين والمغمورين الذين ما فتئوا ينتجون قصصا على غرار ما كتب من القصص منذ بداية القرن أو حتى قبل بداية هذا القرن.

واما الطريق الثانية فهي طريق "اللاقصة" أو المذهب الجديد في انتاج القصة وقد اعتاد النقاد أن يضعوا في هذه الطريق مؤلفين مختلفين منهم الشباب ومنهم الكهول. لكن أغلبهم ظهروا في عالم الادب في فترة ما بعد الحرب ويعسر أن تتميز من أول وهلة ما يجمعهم تحت شعار واحد. فكثيرا ما يطلق نعت "القصة" الجديدة " على السواء عند الحديث عن مؤلفات « Saumel Beckett » أو مؤلفات « Jean Cayrol » أو « Michel Butor » أو « Claude Simon » أو « Nathalie Sevaute » أو « Alain Robbe Grillet » أو على غير هؤلاء من المؤلفين الذين لا تربطهم الاصلة طفيفة بمن ذكرنا فمؤلف كـ « Bernard Pignaud » لم يكتب في الواقع الا قصصا من النوع التقليدي في أشكالها ومظاهرها وأساليبها ولكنه مع ذلك يعد من أبرز مؤلفي القصة الجديدة. "ومن أسرة المحدثين" فهناك اذن جانب كبير من الالتباس ليس هو من صنيع أصحاب النظرية الجديدة بل من عمل النقاد الذين لا يميزون كل التمييز بين التجارب التي تمس

الأسلوب والشكل البحت وبين التنقيح أو التعديل الذي أصبح يمس الجوهر نفسه وكما أسلفنا يطعن في العناصر الاساسية التي ينبني عليها هيكل الفن القصصي في مفهومه المعروف.

هذه بعض الخواطر حول الثورة الادبية التي تجتاح عالم الادب وخاصة أدب القصة في أروبا وسوف لانكتفي بهذا العرض الاجمالي الذي لا يفي بحاجة المتطلع الى معرفة الكثير عن فئة المحدثين والداعين الى نسف القصة في القصة الحديثة وسنعود الى التحدث عن هذه الثورة وعن النظريات التي تدعمها تفصيلا وتحليلا.

مصطفى الفارسي

يجب على المسؤول عن هذه الامة وعن مستقبلها أن لا يقصر عنايته على ناحية دون أخرى بل لا بد من ان يحرص على الحفاظ على الشخصية التونسية ومستواها الادبي وتمسكها بالقيم الانسانية التي تميز بين البشر والسوائم وان لا يترك كفة الماديات ترجح على كفـة الادبيات حتى تتوفر للمواطن حياة كريمة حقا • فلئن كان للانسان جهاز هضمي يتطلب الغذاء فان له أيضا فكرا وروحا يتطلبان الثقافة •

الرئيس الحبيب بورقيبة

خواطر

شعر : محمد المرزوقي

زُمَرٌ تَلِي زُمَرًا تَسِيرُ إلَى الْفَنَا
فِي هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ وَثَبَاتِ

خَرَجَتْ مِنَ الظُّلُمَاتِ زَاحِفَةً بِلاَ
وَعْيٍ، إلى دُنْيَا مِنَ الظُّلُمَاتِ

بَلْهَاءَ لاَ تَدْرِي الْبِدَايَةَ وَالْمَصِيـ
ـرَ، وَلَمْ تَسَلْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ آتِ

تَمْشِي عَلَى جِسْرٍ تَحُفُّ بِجَانِبَيْـ
ـهِ مَعَاقِلُ الأحْزَانِ وَالآفَاتِ

غُمِرَتْ مَحَجَّتُهَا بِكُلِّ رَزِيَّةٍ
وَبَلِيَّةٍ، وَبِشَائِكِ الْعَثَرَاتِ

مَنْ لِي بِمَنْ خَبَرَ الحَقِيقَةَ عَالِمًا
يُجْلِي إلَيَّ غَوَامِضَ الآيَاتِ

وَيُزِيحُ عَنْ قَلْبِي سَحَائِبَ حَيْرَةٍ
قَدْ أفْسَدَتْ عَنِّي نَعِيمَ حَيَاتِي

مَاذَا وَرَاءَ الْجِسْرِ يَرْقُبُنَا ؟ وَمَا
خَلْفَ الْحَيَاةِ ؟ وَمَا الوُجُودُ الآتِي ؟

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى أُرْجُوحَةٍ
يَلْهُو بِهَا حَدَثٌ وَشِيكُ فِطَامِ

تُغْرِيهِ بِالعَبَثِ الزَّرِيِّ فَيَنْتَشِي
فِي فَرْحَةٍ، وَيَدُكُّ كُلَّ نِظَامِ

فَإِذا اطْمَأَنَّ تَمَزَّقَتْ أَمْرَاسُهَا
وَرَمَتْهُ فَوْقَ جَنَادِلٍ وَرِجَامِ

عَجَبًا لِمَنْ يَلْهُو وَيَعْبَثُ سَاخِرًا
مِمَّا تُرِيهِ حَوَادِثُ الأيَّامِ

عَجَبًا لِمَنْ يَحْيَا بِغَيْرِ تَفَكُّرٍ
فِي كُنْهِ هَذَا العَالَمِ المُتَرَامِي

وَالله قَدْ خَلَقَ العُقُولَ لِتَكْشِفَ الْ
مَجْهُولَ طَارِدَةَ رُؤَى الأوْهَامِ

عَيْشُ السَّوَائِمِ قَدْ يَلَذُّ لِشِبْهِهَا
مِنْ عَابِثٍ، أوْ جَاهِلٍ مُتَعَامِي

أمَّا أنَا، إنْ كُنْتَ تَرْحَمُ شِقْوَتِي
دَعْنِي أعَانِقْ وِحْدَتِي وَسِقَامِي

محمد المرزوقي

المسرح في خدمة الجميع

بقلم : **حسن الزمرلي**

كانت الحفلات المسرحية تقام في الهواء الطلق، تحت قبة السماء الزرقاء وفي نور الشمس المشرقة، أمام المعابد، أو بأماكن مقدسة، وكان يؤمه ويحضرها الشعب بأسره، لافرق بين عالمه وجاهله ، ورفيعه وحقيره، وغنيه وفقيره، وكبيره وصغيره.

وكانت المواضيع التي تعالجها المسرحيات تهم جميع الناس علي السواء لانها مستوحاة من صميم حياتهم ، وتعالج مشاكلهم اليومية وتعرض عليهم حلولها.

هكذا كانت الحفلات المسرحية طيلة عشرات القرون ، ولم تدخل عليها الا تغييرات وتحويرات جزئية تتصل بالعصور والامصار أكثر منها بكيانها وجوهرها ، إلى أن جاء عهد الانبعاث الاوربي حاملا في حقيبته مذهب "الإنسانيين" (Les Humanistes) فقلب وضعية المسرح رأسا على عقب أولا بالبلاد الايطالية، ثم بعموم البلاد الاروبية.

وقد كان هذا الانقلاب في نظر كثير من المفكرين والمؤرخين ضربة قاسية على الفن المسرحي. فيقول المؤرخ الكبير جرمان بابست (G. Babst) في هذا الصدد : "إن الفن المسرحي قد مات من اليوم الذي أدخلوه دورا خاصة وصارت حفلاته تقام تحت سقف".

يشير المؤرخ بقوله هذا الى بداية القرن السادس عشر وإلى عودة المفكرين والشعراء المسرحيين الى التراث القديم من يوناني وروماني، وإلى تاريخ هاتين الامتين وميثولوجيتهما والى استسقاء مواضيع الفلسفة والعلم والادب والفن من حياضهما والى القواعد الفنية والادبية المعمول بها في عصريهما.

ومن المعلوم أن ظهور الديانة المسيحية، ومقاومة رجال الكنيسة للعقائد الوثنية التي كانت تدور حولها مواضيع الفاجعات اليونانية والرومانية، وانهيار الامبراطورية الرومانية وتلاشي آدابها وفنونها، كانت سببا في فصل شعوب أوربا الغربية عن الحضارتين القديمتين، كما كانت الحروب الدينية على

اختلاف أنواعها سببا في عصر الظلمات الذي تخبطت فيه هذه الشعوب ما يربو عن العشرة قرون، فلما جاء عهد الانبعاث على يد كوسم دي مديتشي (Cosme de Medicis) لم يبق من العارفين بـاللغتين اليونـانية والرومانية الا رجال الكنيسة ونفر قليل من النبلاء أو من العصاميين من الشعب بحيث أن هذه العودة لانتقاء مواضيع المسرحيات من مناهل الادب القديم جعلت هذا النوع من الفن المسرحي غريبا عن الاغلبية الساحقة من الشعوب الاروبية.

والهندسة المعمارية في بناء المسارح الايطالية على شكلها الجديد، التي أشار اليها جرمان بابست لم تكن نتيجة ما وصلت اليه النهضة الفنية فحسب بل كانت أولا وبالذات نتيجة الانقلاب الذي أدخل على مفهوم الفن المسرحي والغرض منه. فالفصل في قاعة التمثيل المعروفة بالإيطالية (ومسرحنا البلدي من هذا النوع) بين الممثل والناظر بمسافة محسوسة هو في الحقيقة فصل بين الناظر وموضوع المسرحية.

فبعدما كان الغرض من الفن المسرحي إحياء ذكرى الآلهة وكبار الابطال في القديم وصراع أولئك الابطال مع مصيرهم ومحنهم قصد إرضاء مطامحهم من ملاذ هذه الدنيا (السلطة — الجاه — المال — الحب — الواجب — الشرف)، وبعد ما كان هذا الغرض في إحياء ذكرى الانبياء والقديسين في عهد المسيحية بعرض أمجاد هؤلاء العظماء في مواسم معروفة وفي اثارة حماس النظارة وعطفهم بمشاهدة ما قاساه أولئك الابطال في سبيل نشر دينهم أو في سبيل الدفاع عنه، حسب ما جاءت به كتب الدين، أو التاريخ، أو الخرافات المعروفة من الكبير والصغير، والمتمكنة في جميعهم تمكن العقيدة أو بعدما كان هذا الغرض في الترفيه عنهم بتقديم اخلاقيات أو مهزليات انتقادية تدخل عليهم سرورا كبيرا لانها تسمح لهم بالنيل بدون خطر من كرامة من يستغلونهم ويسلطون عليهم ظلمهم وجبروتهم. بعد هذا كله أعرض الفن المسرحي، بعمله الجديد، عن مخاطبة العاطفة والإحساس والعقيدة وأخذ يطالب بثقافة واسعة ويخاطب العقل بما يحمله معه من فلسفة وتاريخ وبما أصبح عليه من مصدر لإثارة المشاكل السامية الدائمة ومن مثير للحيرة في عقول الناس ونفوسهم لإيجاد حلول لها.

عندها لم يبق الفن المسرحي ظاهرة شعبية (وهو موت في نظر بابست) لان الشعب في سواده الاعظم، غريب عن المواضيع التي أخذ الكتاب يعالجونها بواسطته فأصبح عنصرا هاما من عناصر الثقافة والتفكير.

أضف الى ذلك أن الفاجعة التي رجع اليها الكتاب والشعراء هي في الحقيقة نوع خاص، ممتاز بين الانواع المسرحية، أرفع بكثير من السير والكرامات والاخلاقيات التي تعودها الشعب. فهي تعالج مواضيع سامية، وتبسط حالات استثنائية تختار لها قيما سامية استثنائية وتجعلها مهددة بالتلاشي والانهيار في شخص أبطال يشغلون بطبيعة الحال مراتب سامية استثنائية مرموقة في المجتمع، وتكون تلك القيم المهددة في تضارب عنيف مع قيم أسمى منها يجب عليها أن تضحى بنفسها لإنجازها، وهذه الصبغة الخاصة ادت الى اعتبار هذا النوع "أرسطوقراطيا".

وبعد هذا العصر أي عصر الفاجعة على النمط الذي ذكرناه — انتقل المسرح الى البورجوازية عندما انتقلت الثروة الى هذه الطبقة، ثم الى المسرحية الابتداعية، بعد الانقلاب السياسي الفرنسي ونزعة التحرر من جميع القيود المجحفة (سياسية واجتماعية وأدبية) ولكنه لم يعد قط بالمواضيع الشعبية وهكذا الى اواخر القرن التاسع عشر،

ولكنه اذا توسع في اختيار مواضيعه، وأعرض في كثير من المسرحيات الجديدة عن المواضيع التاريخية والمشاكل المعقدة، واهتم بالحياة المعاصرة ومشاكلها، وابتكر أنواعا جديدة طريفة، فقد سيطرت عليه فكرة التجارة، وصار باستقراره قليل الجولان، بحيث بقي من نصيب سكان العواصم الكبرى وزائريها، والمدن الاهلة، بل بقي، اذا شئت، من نصيب من يستطيعون الذهاب اليه من ذوي اليسار.

أما اليوم وقد أصبح المسرح مهددا بالموت من طرف منافسين أقوياء، السنما، والإذاعة، وخصوصا التلفزة الجامعة بين الاثنين، فانه استيقظ من غفلته، وأخذ يحاول الدفاع عن كيانه بشتى الوسائل — الفنية منها والعملية فانه صار يفكر قبل كل شيء في توسيع نطاق عمله والتقرب من حرفائه.

أما الوسائل الفنية، فإنها تتجسم في التنوّع في التأليف وفي طرق الاخراج الجديدة وما تفرع عنها من أنواع تتغير بتغير كل مخرج وكل مسرحية.

وأما الوسائل العملية فهي في جلب الجماهير والقيام لديها بمهمة ثقافية وفنية وأدبية وبتوفير الاسباب لبلوغ هذه الغايات وهكذا عادوا الى التفكير في المسارح الشعبية.

وقد وجدت فكرة المسارح الشعبية صدى كبيرا في نفوس الجماهير لاسيما في بلاد عم فيها التعليم وكادت تنقطع الامية، وانحصرت الثروات والامكانيات المادية بين يدي نفر قليلين قل فيهم عدد المولعين بالفن المسرحي بحيث إن الفكرة السائدة اليوم في أوساط المسارح المسماة بالشعبية ليست في العدول عن المسرحيات التي كانت آنفا من نصيب الملوك وبلاطهم والسراة أو في تبسيطها، ولا في الغاء النوع البورجوازي أو الابتداعي أوغيرها من الانواع، ولكن في جعلها في متناول من كانوا لايستطيعون مشاهدتها بالمسارح الكبرى على الرغم من كفاءتهم الثقافية أو نضجهم الفكري وذلك لارتفاع ثمن المقاعد وما يفرض عليهم من ارتداء لباس رسمي أو شبيه بالرسمي أو في لون داكن على الاقل وغيره من التصعبات التي لم يتعودوها ولا طاقة لهم بها.

وقد أسست مسارح شعبية بغالب البلاد الاروبية وبالولايات المتحدة على قاعدة أن "لا مجال للطبقات في المسرح ولاشرط في دخوله الا بالنظافة والتربية ومراعاة الغير".

ويقول جان فيلار — مدير المسرح القومي الشعبي الفرنسي — في فصل نشر بجريدة "الحفلات العالمية الاولى" (Premiéres mondiales) لشهر نوفمبر 1960 :

"إن الغرض من الجهود الجبارة التي تبذلها المسارح الشعبية هو في أن تجلب للمسرح أقل طبقات الشعب حظا، لا في حمل المسرح الى الطبقات المنحطة والى اللفيف" ومعنى ذلك أن المجهود يبذل في مستوى اختيار المسرحيات الواجب تقديمها، والاماكن والاوقات، والظروف المساعدة عليها.

وهكذا يقدم المسرح القومي الشعبي الفرنسي أهم المسرحيات العالمية لعملة مختلف الشركات الفرنسية (رينو — ستروان — بيجو وغيرها).

وهذه هي الطريقة المتبعة في بلادنا منذ عشرات السنين من طرف فرقة "الايسور" (L'essor) التي يديرها الاستاذ اسكندر فيشي (A . fichet) والتي أتت بالنتائج العجيبة التي نعرفها.

وهذه أيضا الطريقة المتبعة بالفرقة البلدية التي تفتح أبوابها في وجه الجماهير وبالاخص في وجه أسرة الطلبة بمقابل يكاد لا يذكر

بيد أن جمعية "الايسور" استطاعت تأدية وظيفتها على الوجه الاكمل

بتقديم برامجها على مسرح البلدية أو بمسارح المدن الكبرى من جمهوريتنا لان برامجها معدة للجالية الفرنسية أو لمن يحسنون اللغة الفرنسية من التونسيين والجاليات الاخرى وجميع هؤلاء يقيمون بالعاصمة أو بالمدن الكبرى، لابالقرى والمداشر.

وأما نحن فواجبنا يقضي علينا بحمل الفن المسرحي الى جميع انحاء الجمهورية لانه لا يمكن أن يقال فينا اننا نخدم هذا الفن اذا قصرنا الجهد على تقديم حفلاتنا لجمهور محدود وبمسرح البلدية وحده. فوظيفتنا هي في حمل الحفلات الى كل مكان لتعميم الفائدة واختصار أتعاب رواد المسرح، وفي تقديم المسرحيات الرفيعة كلما وجدنا الى ذلك سبيلا.

وعمل كهذا يستوجب الاكثار من دور التمثيل حتى يتسنى للفرق اداء زياراتها بدون كبير عناء.

وأما الجهات التي لم تزل الامية غالبة فيها فانه يجب أن تُعدّ لها مسرحيات تسهل بلغتها وأسلوب تقديمها فهم المقاصد العليا التي تحتوي عليها.

وهكذا نكون قد رافقنا الشعب نموه كما يرافق الكتاب الانسان في جميع مراحل حياته من الطفولة الى الكهولة، وهكذا نكون قد أوجدنا المسرح المناسب لجميع الطبقات الثقافية وجعلناه في خدمة الجميع.

حسن الزمرلي

ان ربط التاريخ بالحاضر والاجيال بعضها ببعض أمر لا بد منه لهذا يجب احياء التراث مع تشجيع القرائح الحية بشتى الطرق حتى يرتفع مستواها بارتباطها مع ماضي الشعب وحاضره وهكذا تكون الثقافة بهذا الاعتبار غير منعزلة ولا معلقة في الهواء وانما هي متصلة أوثق الاتصال بآمال الشعب والامة ومشاكله وهي تجمع في آن واحد بين الشمول والتبلور لانها تعتمد على تهذيب التراث وتنسيقه مع مقتضيات الظرف الحالي .

الرئيس الحبيب بورقيبة

وراء الافـــق

شعر : **جعفر ماجد**

سَلَوْنَا أمْ تُرَى وَهَنَتْ قُوَانَـــا ... وَعُدْنَا وَحْدَنَا.. أمْ مَنْ دَعَانَا؟
وَكُنَّا كَالخَيَالِ بِـــلاَ جَنَاحٍ ... نَطِيرُ عَلَى الزَّمَانِ فَلاَ يَرَانَا
فَأنْتَ اليَوْمَ يَا قَلْبِي غَـــرِيبٌ ... عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ.. تَرَى المَكَانَا
وَتَلْهَثُ كَالجَرِيحِ عَلَى ضُلُوعِي ... وَتَنْفُثُ فِي شَرَايِينِي الْحَنَانَا
... تَضِجُّ الذِّكْرَيَاتُ فَأمْتَطِيهَا ... وَأرْمِي فِي السَّمَاءِ لَهَا العِنَانَا
فَأنفُضُ فِي أقَاصِي الارض حُزْنِي ... وَأصْحَبُ فِي مَغَانِيهَا الْحِسَانَا
...وكَمْ فَتَرَتْ جُفُون تحتَ ثغْرِي ... وَكَمْ ثِغْرٍ عَلَى شَفَتَيَّ لاَنَا !
وَكَمْ عَثَرَ النَّسِيمُ عَلَى ذِرَاعِي ... فَطَارَ الشَّعْرُ ذُعْرا وَاحْتَوَانَا
وَكَمْ غَابٍ ذَوَتْ لِلَّيْلِ فِيهِ ... نُجُوم.. وَحْدَهَا حَرَسَتْ خُطَانَا
وَأضْوَاءُ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعِيدٍ ... وَرَاءَ الْغَابِ تَلْتَهِمُ الزَّمَانَا
..أيَا يَوْمَ الفِرَاقِ ظَلَمْتَ عُمْرِي ... فَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ لِي يَوْمَ كَانَا !
بَكَيْتُ..وَلَمْ يَكُنْ دَمْعِي سَخِيًّا ... فَلَبَّى حِينَ لَمْ أجِدِ الْبَيَانَا
وَكَانَتْ كَالفَرَاشَةِ فَوْقَ صَدْرِي ... فَلَمْ تَمْلِكْ عَلَى صَدْرِي اتِّزَانَا
يَخُونُ الحَرْفُ رَغْبَتَهَا فَتَبْكِي ... وَأفْهَمُ مَا تُرِيدُ لَهُ لِسَانَا
فَنَمْشِي فِي دُرُوبِ الصَّمْتِ حَتَّى ... بِرَغْمِ الصَّمْتِ تَجْمَعُنَا يَدَانَا
فَوَيْحِي حِينَ أذْكُرُ مَا أتَيْنَا ... وَوَيْحِي حِينَ أذْكُرُ مَا أتَانَا

جعفر ماجد

الشعـر الغنـائي الانـــــدلسي

وظهور الشعر الغنائي « الروماني »

بقلم : **ايميليو غرسية غومز**

نقله الى العربية : **محمد العربي عبد الرزاق**

1 ـ بسطة عامة حول الموضوع

موضوع صعب :

ان الرسالة التى أناطها بعهدتى المجمع الوطنى للغات تفوق قواى بكثير • وانا ان كنت قبلت مع الشكر والامتنان هذا الشرف الكبير وهذا العمل الشاق فذلك لان الصعوبات فى هذا المضمار لا يمكن ان تعزى فقط الى ما فى الدارس من التقصير بل هى مع الاسف صعوبات متصلة متين الصلة بالمادة نفسها • وان كان من الطبيعى ان يتحسس المرء سبيله وهو يتهادى فى سراديب الماضى فان ليل القرون الخوالى ليس هو العقبة الوحيدة التى تحول دون نور الحقيقة • فان هذه الظلمة قد اصبحت كثيفة كما سنرى تحت تأثير عدد كبير من الظواهـر والعوامل ، ثم ان النور الذى يقود خطانا ما يزال ضئيلا خافتا •

ويجب على المرء ـ كى يتبين الامور هنا تبينا نسبيا ـ ان يجمع على الاقل بين اختصاصين مزدوجين يصعب جمعهما صعوبة كبيرة فى عصر كعصرنا هذا المتميز بالغلو فى التخصص والاقبال عليه اقبالا جنونيا • فيجب على الدارس ان يكون ملما فى نفس الوقت باللغة والثقافة العربية من جهة وباللغة والثقافة « الرومانية » من جهة أخرى • هذا بالاضافة الى اختصاص ثالث يحسن الالمام به ايضا وهو العلم الجيد بالالحان الموسيقية ومعرفة اساليبها الفنية والتطور التاريخى للالحان والاغانى فى العصور القديمة ، لان وثوق الصلة بين الموسيقى والشعر فى القرون الوسطى أمر لا يمكن نسيانه البتـة •

تقـدم النظـريـات « العـربيـة »

ولا يمكن لى بالمرة ان البى هذه المتطلبات المشروطة فى الدارس اذ لا استطيع سوى تقديم خبرة مستعرب بسيطة تقترن بشىء من الألفة بمواضيع الادب المقارن فى العصر الوسيط •

لقد بدأت حياتى العلمية فى ظل العالمين الاسبانيين الكبيرين : (ريبيرا) و (آسين) وهما من ابرز زعماء هذه الدراسات ومن أقدر الناس على خوض ميادين الخصومات الصاخبة التى ثارت حول هذه المواضيع • وقد شهدت عددا من هذه المعارك وانا ما ازال شابا حدثا • ولذلك فانه بامكانى ان أقيس اليوم التقدم الذى حصل فى هذه السنين الثلاثين الاخيرة بفضل دراسات لا تحد شائك صعوباتها من الشغف بها والاقبال عليها • فمن كان يقدر سنة 1919 ان يتكهن ان نظرية (آسين) الشهيرة عن التأثيرات الاسلامية فى كتاب « الملهاة الالاهية » (Divine Comédie) ستبلغ سنة 1948 حدودها التى لا يمكن ان تتعداها ، بينما تجد فى نفس الوقت التأييد والاثبات الكاملين والاسس اليقينية الصحيحة التى امدتها بها الدراسة الجليلة التى قام بها انريكو شرولى (Enrico Cerulli) حول « كتاب المعراج » ؟ ومن كان يستطيع ان يفترض ان كتابا مثل كتاب « اسبانيا فى تاريخها » لأميريكو كاسترو (Américo Castro) سيبرز فى اوساط العلماء الاسبان المختصين بالعهد الوسيط ، تلك الاوساط المعروفة منذ ما لا يزيد على الثلاثين سنة بعدائها وردها لكل ما يشتم منه رائحة التأثير العربى ؟ هذا بقطع النظر عن سائر الحصاد الخصب الحاصل فى مروج حمتها الاقدار من الاضطراب ومنعتها من عواصف المجادلات والخصومات •

وفى الحقيقة فانى لا أدعى اننا ادركنا النصر النهائى ، ولست أدعى ان « النظريات العربية » ــ والعلماء يطلقون عليها هذا الاسم ــ قد فقدت خصومها الاشداء الالداء • غير انى اريد ان اشير فقط الى انها قد جلبت اليها من المؤيدين عددا كبيرا ، مما قد يجعلنا نميل أحيانا الى قلب معطيات الموضوع • فنسائل انفسنا ــ كما اشرت الى ذلك منذ حين ــ لا عن امكانية وجود روابط ثقافية مضبوطة فى العصر الوسيط بين الحضارة الاروبية والحضارة الاسلامية (فشرح السبب فى ذلك بسيط) بل عن كيفية انفصام هذه الروابط انفصاما مقصودا وبسبب نية مبيتة فى تناسى الماضى وتجاهله من طرف الفكر الاسبانى • ويستحق هذا المشكل ــ الذى يكتسى اهمية بالغة بالنسبة للثقافة الاسبانية ــ دراسة عميقة •

المقارنة وميدان الشعر

ومن بين ميادين الخصومات التى اشرنا اليها فان ميدان الخصومات حول الشعر هو الاخطر والاعسر بدون شك ، ولقد اكد القرن الثامن عشر ذو النزعة المحبة للعرب النظرية التى تؤيد تأثير الشعر الغنائى الاسلامى فى شعر اوروبا فى القرون الوسطى • ثم جاءت الابداعية فاطنبت فى هذه النظرية واشادت بها اشادة مبهمة • غير ان هذه النظرية ما لبثت ان تعرضت لانكار وجحد عنيدين • وقد كاد علم فقه اللغة الموضوعى ان يستأصل جذورها فلا تبقى منها الا آثار لا تكاد تدرك •

ثم عاد الناس فى مطلع قرننا الحاضر الى اكتشاف هذه النظرية من جديد ، ولم تزل قوتها الاقناعية تتزايد يوما بعد يوم • ولو سمح لى باستعمال استعارة عصرية فيهـا شىء من الجسارة فانى إقول ان الدراسات التى تبحث عن هذا التأثير قد اضطرت الى ثقب طبقات الزمن المتراكمة والنفاذ منها شأنها فى ذلك شأن تلك الآلات الثاقبة التى تنفـذ اليوم الى اعمـاق الارض بحثا عن النفط • ذلك ان المعادن المطلوبة مقبورة فى اعمق اعماق التاريخ •

حول ميدان الشعر العربى الكلاسيكى :

يبدو فى الظاهر ان الغنيمة الحاصلة ضعيفة هزيلة • فليس للشعر العربى الكلاسيكى من مـواطن الاتصال بالشعر الغنائى « الرومـانى » فى اوروبا الا القليل النادر ولم تسفر البحوث فى هذا الميدان الا عن نتائج سلبية • غير ان هذا الاستكشاف ـ وان كان سطحيا ـ قد مكن من ادراك بعض الادلة المشجعة (كالاتفـاق فى بعض المواضيـع وفى بعض العبـارات وفى بعض الاشخـاص والاشكال المصطلح عليها والتى تدور حول العشق والعشاق) وبعث الاعتقاد بان الحب عند العرب لم يكن حبا شهوانيا فحسب • واعتقد انه لا يوجد اليوم من ينكر وجود نوع من الحب فى الشعر العربى قريب جدا مما اطلقنا عليه نحن اسم « الحب الظريف » (Courtois) او حتى مما نسميه اصطلاحا «الحب الافلاطونى» ثم علينا ان لا ننسى ان **جزءا هاما من هذا الشعر العربى الكلاسيكى قد دخل فى الشعر الذى اتى من بعد فى شكل موشحات •**

حول ميدان شعر الموشحات : نظرية (دون خوليان ريبيرا) :

ولقد قام استاذى (ريبيرا) فى محاضرته الشهيرة التى القاها سنة 1912 حول ابن قزمان ، بمحاولة بعيدة المدى فى سبر هذا الغور • فلقد كان العالم الالمانى (هارتمان) تعرض لدراسة الموشح سنة 1897 ، غير ان دراسته لم تكد تتجاوز الناحية الوصفية ، وقد درس (ريبيرا) التطور التاريخى للموشح والزجـل دراسة ادته الى ان يفترض ان هذين الفنين الشعريين قد نشآ فى الاندلس تقليدا لشعر غنائى « رومانى » وجد قبلهما ، وان الموشح والزجل اثرا بدورهما تأثيرا عظيما فى الشعر الغنائى البروفانصالى الذى كان يتغناه (التروبادور) وفى شعر اوروبا بصفة عامة • ويرى (ريبيرا) ان « مفتاح لغز » الشعر الغنـائى فى العصور الوسطى باجمعه انما يوجد فى ديوان ابن قزمان •

وما من شك فى ان نظرية العالم الاسبانى الكبير فيها ما فيها من المبالغات والاخطاء ، وانها قد ادت الى زيغ ظاهر فى البحوث اذ انها قصرت النظر على الزجل وعلى ما سمى بالفقرة الزجلية ، بقطع النظر عما سوى ذلك • غير ان هذا الحدس ـ الذى سنعود الى الحديث عنه فيما بعد ـ كان حدسا عبقريا •

وقد اثارت هذه النظرية فى الحال ضجة كبرى وموجة من المجادلات العنيفة تمكنت فيها «النظرية العربية» من قطع اشواط كبيرة واكتساب انصار عديدين على انها تطورت بصفة ملحوظة فى نفس الوقت وما يزال لهذه « النظرية العربية » خصوم عديدون غير ان انصارها اكثر عددا وهم يرون ان الفقرة الزجلية قد عرفت فيما مضى انتشارا واسعا فى كامل اوروبا ٠

ولن اذكر من العلماء المختصين هنا سوى اثنين هما : مينندز بيدال (Menendez Pidal) فى تحريريه (الشعر العربى والشعر الاوروبى) ـ وقد قام بالتحرير الاول سنة 1938 ـ والعالم الثانى هو أ ـ ر ـ نيكل الذى لخص ابحاثه او كاد فى كتابه (الشعر الاندلسى وصلاته بشعر التروبادور البروفانصاليين القديم ـ 1946)

وليس من المفيد ـ ولا من الممكن ـ ان نتعرض هنا بالتحليل للفروق الجزئية الدقيقة التى تفوق الحصر وللتعديلات والتخفيفات المتوالية التى ادخلت على نظرية ريبيرا ٠ وليكف القول بان عددا من اتباعه ان هم يقبلون فى الجملة خلاصة بحوثه فهم يشكون فى وجود شعر غنائى « رومانى » سبق الموشحات والزجل الاندلسى ٠ بل هم يرون ان نماذج فارسية او عربية كالدوبيت والتسميط مثلا ـ كانت هى الباعث الاول لابتكار الاندلسيين الموشح والزجل ٠

اكتشاف الخرجات « الرومانية »

وفى سنة 1948 حدثت عملية سبر اخرى غير منتظرة فكانت اعمق مما سبقها فى هذا الميدان واصابت معدنا من اخصب المعادن واثراها ٠ فقد نشر فى هذه السنة بمجلة « الاندلس » التى سهرت على ادارتها منذ تأسيسها ـ مقال للاستاذ س٠ م٠ ستارن حول موضوع : الابيات الختامية باللغة الاسبانية فى الموشحات الاندلسية العبرية ٠ ويجب ان اشير هنا الى حدث مهم ـ اذ ان للجديد الساطع نورا قد يعشى الابصار ـ وهو ان مدير المجلة لم يدرك اول الامر ما لهذا الاكتشاف العظيم من اهمية ادبية ، ولا تفطن الى ذلك الاستاذ « رامون مينندز بيذال » الذى وقعت استشارته بطلب من ستارن قبل نشر المقال ٠ فقد قصرنا اهتمامنا اذ ذاك على المظهر اللغوى المحض لهذه الدراسة ٠ وقد كان اول من ارسل صرخة الانذار هو بدون شك الاستاذ « دامازو الونزو » فى مقاله : (اغانى العشاق الاسبان المستعربين : غرة ربيع الشعر الغنائى الاوروبى) الذى نشر بمجلة فقه اللغة الاسبانية (سنة 1949) ٠

فكان من المتأكد القيام ببحث اولى لمعرفة هل ان الخرجات (وهذا الاسم الاصطلاحى يطلق على الابيات الاسبانية التى ترد كخواتم للموشحات) مقصورة على الشعراء اليهود ٠

لكن محاولة حصر هذه الميزة فى الشعراء اليهود فحسب سرعان ما اتضح انها واهمة فقد حدثت صدفة عجيبة سمحت بالعثور على ينبوع ثرى فى قطاع عربى

وكان ستارن قد اشار منذ سنة 1949 الى وجود خرجة « رومانية » ضمن موشح عربى (1) وقد تمكنت شخصيا سنة 1952 بفضل سماحة زميلى العالم الاستاذ كولان ، من الاطلاع على مجموعة من الموشحات فى مخطوطة يملكها يرجع عهدها الى القرن الرابع عشر • فنشرت اذ ذاك مقالة بعنوان : « اربع وعشرون خرجة رومانية فى موشحات عربية » ، (2) ثم نشرت دراسة اخرى حول نصوص جديدة ، (3) ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل اننا تمكنا من الرجوع الى مجموعة موشحات لسان الدين ابن الخطيب المسماة بجيش التوشيح ، فى ثلاث مخطوطات تونسية ، وهذه المجموعة تحتوى على خرجات « رومانية » عديدة •ومجمل القول اننا قد اطلعنا الى حد الآن على ما يقارب الخمسين من هذه الخرجات ، وقد اثبت ستارن مجموعة مؤقتة لهذه النصوص ـ مع بعض التنقيحات والزيادات ـ واستطاع ان يوضح جزءا ضئيلا من معانيها (الاغانى المستعربة • بالرمو 1953)

ولست املك الآن من الزمن ولا من المكان ما يسمح لى بالخوض فى المشاكل اللغوية والادبية المتعددة التى يثيرها اكتشاف الخرجات « الرومانية » ضمن الموشحات الاسبانية والعربية واليهودية • فلنكتف بالاشارة الى اللازم الاهم •

فاننا قد وصلنا على الارجح الى الظفر بسر الموشح وهو ان العنصر الجوهرى فيه هو الخرجة•وقد فقدت « المقطوعة الزجلية » ـ اى التركيب العام للقصيد ـ من اهميتها فى نظرنا • وقد اصبح الزجل عندنا فى المقام الثانى بينما احتلت الخرجات المكانة الاولى واحتكرت اهتمامنا •

وتكتسى الخرجات الرومانية التى وقع اكتشافها اهمية بالغة بالنسبة الى فقه اللغة والى معرفة تطور الاغراض الشعرية فى الادب الاسبانى فى عصوره الاولى وهى تطرح الى ذلك مشكلين اساسيين : 1) هل تمثل هذه الخرجات الشعر الغنائى « الرومانى » الذى سبق الموشحات ، وهو الشعر الذى افترض وجوده ريبيرا افتراضا نظريا محضا ؟ ـ 2) اذا كانت هذه الخرجات تمثل كما يمكن ان نفترض نماذج من اقدم ما نعرف من الشعر الغنائى الشعبى بأوروبا ، فما هى الصلات التى تربطها تاريخيا وادبيا بالشعر الغنائى الاوروبى ؟

تصميم هذا البحث :

لست ادعى حل هذه المشاكل العويصة ـ فمثل هذا الادعاء ضرب من الخطل

(1) مجلة « اندلس » جزء (14) ، 1949 ، ص 214 ـ 218
(2) مجلة « اندلس » جزء (17) ، 1952 ، ص 57 ـ 127
(3) مجلة « اندلس » جزء (21) ، 1954 ص 369 ـ 391

وسوف اسكت عن عدد عديد من الجزئيات ـ يعرفها الاخصائيون ـ كنت اضطر الى ذكرها لو كنت اخاطب اناسا لم يسبق لهم ان سمعوا بفن الموشح ٠

ولذ فانى سأقصر البحث على بعض النقط الرئيسية : فاعـرض اول الامـر وبصورة موجزة اصل الموشح وتطوره فى رأيى ٠ ثم انتقل بعد ذلك الى تحليل بعض الخاصيات الفنية التى من شأنها تبرير الافتراض التالى الذى ارجحه : وهو انه يمكن اعتبار الخرجات « الرومانية » بقايا من الشعر باللغة الرومانية الذى سبق ظهور الموشحات ، ذلـك الشعر الـذى تفطن ريبيرا الى وجـوده حـدسا وتخمينا ٠ وقد وصلتنا هذه البقايا بحكم اتفاق خارق عجيب ٠

وسوف اختم هذا العمل بالحديث عن البعض من الابحاث التى اقوم بها الآن وهذه الاشغال المقصورة على الادب الاسبانى ، يمكن ان تكون اساسا فى رأيى ، لاستكشاف يكون اشد تعمقا من المحاولات السابقـة ، فى سبيل العثور على الوحدة والتكافل الحقيقيين بين الشعر الغنـائى العـربى والشعر الغنـائى ذى النزعة الاسبانية خلال العصر الوسيط ٠

2 ـ تطـور الموشح : الخـرجـة

شعـران يتعـايشان ويعـرض كل منهما عن الآخر :

ان غزو الجيوش العربية لقسم كبير من شبه الجزيرة الاسبانية ـ او بالاحرى احتلالها لها ـ قد تم فى ظروف لا تزال غامضة عندنا غموضا كبيرا ٠ غير انه يظهر جليا بعد خضوع البلاد لسلطان « المحتل » وبقطع النظر عن التقارب الناتج عن التزاوج منجهة وعناعتناق المغلوبين دين الغزاة الفاتحين من جهة اخرى ـ ان نواة متصلبة قد بقيت داخل كل من الشعبين تعيش طويلا فى انقطاع تام عن الشعب الآخر ٠

فقد كان العرب يحبون العيش حسب طريقتهـم وفيمـا بينهـم ٠ فى حين استمرت جماهير السكان الاصليين تعيش كما الفت العيش ، فيما بينها ٠ ولا شك ان فاصلا مماثلا قد قام بين التقاليد الادبية لكل من المجموعتين ٠ فعاش الشعران، طيلة ما يقرب منقرنين، متجاورين معرضين بعضهما عنبعض٠ وحافظ العرب على شعرهم الذى كان صدى باهتا ولقاحا ذابلا من الشرق ، اما السكان الاصليون سواء كانوا من المستعربين او من حديثى العهد باعتناق الاسلام ، فقد استمروا ينهلون من ينابيع تقاليدهم الادبية الاصيلة ٠ وهذا التعايش ليس من باب الافتراض والوهم ٠ فقد امكننى الحصول على نص ـ انـا مدين بـه للطف الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ـ كتبه التيفاشى فى القرن الثالث عشر وهو يشير الى هذا الامر بصورة لا لبس فيها ٠ فهذا التيفاشى يؤكد ـ مرددا قولا

لابن سعيد يعتمد فيه شهادات تعود الى ما قبله بعدة اجيال ــ « ان اهل الاندلس في القديم كان غناؤهم اما بطريقة النصارى او بطريقة حداة العرب »

الشعر « بطريقة النصارى » :

فما هو الشكل الذى يكتسيه هذا الشعر «بطريقة النصارى » ؟ لقد كان هذا الشعر فى رأيى ــ وانا اعتبر الخرجات « الرومانية » امتدادا حيا له ، واعتمد هذا الافتراض كقاعدة عملية ــ يهوى المقطوعات المتناهية القصر ، وهى نزعة سوف تحتفظ بها الخرجات ٠ فكان هذا الشعر يظهر فى مظهر مقطوعات « الكانثيو نيلاس » وهى تقع فى بيتين او ثلاثة ابيات او اربعة لا غير ، وتكتسى طابعا شعبيا وصبغة شعرية غنائية ٠ وهذا القصر ليس غريبا عندنا ٠ فان الشعر الشعبى فى جميع المقاطعات الاسبانية يميل اليوم الى منحى مقطوعات « الكوبلا » القصيرة ــ وقد كان فى القديم يتمثل فى مقطوعات « الفيلانثيكوس »

ولنذكر على سبيل المثال ان شعوبا اخرى قد تبنت صيغا شعرية ذات تراكيب فى مثل هذا الايجاز والقصر : فقد عرف اليابان مثلا « الشعر القصير » او « الطنكا » المتركب من 31 مقطعا فى خمسة اسطر متناوبة كما يلى : (5،7،5،7،7) و« الحايكاى » المتركب من 17 مقطعا كما يلى : (5،7،5) ٠

فمن المحتمل اذن ان هذا الضرب من الشعر لم يبق مقصورا على اسبانيا ٠ فان لم تعرفه بلاد (Romania) كلها فلقد عرفه على كل حال جزء منها ٠ وليس لنا فى الحقيقة ــ مما يشير الى وجود هذا الامتداد شهادات اقدم من الخرجات الاولى التى وصلت الينا ٠ غير انه يمكننا على كل حال ان نلاحظ شبها طالما سمعنا به بين هذه الخرجات وبين الترجيعات الشعرية (Refrains) الفرنسية ، كما يمكننا ان نفترض ان مختلف البلاد « الرومانية » كانت تتبادل اخفى جواهر معينها وادقها بطريقة التماص الكيانى ٠ فلقد وجدت شخصيا فى بعض الخرجات التى توصلت الى حل الغازها جزئيات لغوية تحمل فى رأيى تأثيرا « بروفنساليا » ٠ ومع هذا فنحن نعود الى موضوعنا الاصلى فنقول ان هذا الشعر قد عاش فيما يبدو فى اعراض تام عن القصيدة الكلاسيكية الآتية من الشرق وعما كان ينسج على منوالها فى الاندلس من القصائد ٠

ابتكار الموشح : الظروف التاريخية :

فى اواخر القرن التاسع الميلادى الذى كان حافلا بالفتن السياسية والمذهبية ــ مما يدل على ما كان يحف بعلاقات الجنسين المتعايشين من قلق وحيرة مستمرة ــ ظهرت بوادر حركة ادماج واسعة قد تكون نشأت عن يأس وسآمة او عن اقتناع بوجوب تعاون وتفاهم مشترك بين الجنسين ، وقد تزعم هذه الحركة الاسرة الاموية المالكة التى بلغت اوج عظمتها مدة قيام خلافتها بالاندلس ٠ ويمكن ان نفترض

ان الادب لم يتخلف هو ايضا عن هذه السبيل الجديدة ٠ وفعلا فان كل النصوص تشير الى ان الموشح قد ظهر فى هذه الفترة ، وهى مدة آخر امارة عبد الله ومطلع خلافة عبد الرحمان الثالث ٠ وقد ابتكره شاعر من قبرة يدعى احيانا محمد بن محمود او مقدم بن معافى ٠ وفى هذه النقطة يتفق التاريخ مع الادب اتفاقا كاملا ٠

نصوص يجب الرجـوع اليهـــا :

فيم يتمثل هذا الابتكار ؟ فلنطرح النصوص الثانوية جانبا ولنقصر اهتمامنا على نصوص اساسية ثلاثة :

1) نص ابن بسام ، مـن كتـاب القـرن 6 هـ ، / 12 م، فى كتاب **الـذخيرة** (ط ، القاهرة ، 1 ـ 2 ص 1)

2) ثم الكتاب النظرى الوحيد (فيما نعلم) عن فن الموشح ، اعنى **دار الطراز** لابن سناء الملك المصرى الذى كان يعيش فى اواخر القرن 12 م ٠

3) واخيرا الفصل الشهير الذى ختم بـه ابن خلدون مقـدمته ، وقد نقل ابن خلدون هذا الفصل دون اى احتشام عن كتاب المقتطف لابن سعيد ، كما بين ذلك الاهوانى (1)

نص ابن بسام :

يقول ابن بسام متحدثا عن شاعر قبرة :

« وكان يصنعها على اشطار ، غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ العامى والعجمى فيسميه المركز ويضع عليه الموشحة »

ومن المستحيل ان يكون ريبيرا قد فهم هذا النص بالتدقيق ، اذ لم نكن نعرف من الموشحات الا عددا يسيرا ولم نكن قد ظفرنا بعد بأية خرجة رومانية ، نعم انه قد استطاع بحدسه المتيقظ ان يدرك امكانية وجود شعر غنائى « رومانى » سابق للموشح ، كان علينا ان نبحث عن بقاياه وآثاره ٠ غير ان طبيعة المواد التى كانت بيده اذ ذاك كان مـن شأنها ان تقـود خطاه بصفة حتمية نحو ابن قزمان الذى كان يكثر من استعمال الالفاظ « الرومانية » ونحو الزجل ، رغم انه فن متفرع عن الموشح ومتأخر عنه ٠ وكان مندفعا فى هذه السبيل دون سواها ، فقصر كامل اهتمامه على التركيب العام للقصيد وعلى « الفقرة الزجلية » ، معرضا طبعا عن الخرجة ٠ ونحن لن نقف فى هذا البحث عند النتائج التى اسفر عنها تركيز الاستاذ تفكيره حول هذا المحور ٠

(1) انظر مجلة الاندلس ، جزء (13) ٠ 1948 ، ص 19 ـ 33

دور الخرجة الاساسي : نص ابن سناء الملك :

نعم لقد كان من اللازم ان نستعين بالخرجات الرومانية التى اسعفنا الحظ باكتشافها حتى نلقى بعض النور على المعلومات التى قدمها لنا ابن بسام و نفهمها على حقيقتها • وذلك لسبب بسيط كل البساطة : اذ ان ما يسميه ابن بسام **بالمركز** ليس شيئا آخر سوى الخرجة • ونحن نرى الترادف المطلق بين الكلمتين فى عدة نصوص من كتاب ابن قزمان (طبعة نيكل ، ص 40 و121 و125) • وهذا ابن سناء الملك من جهته يمدنا بكل الجزئيات المرجوة عن دور الخرجة او المركز •

ومن البين ان الرجوع الى هذا الكتاب يجب ان يكون فى كامل الحذر والانتباه : فهو اجنبى عن الاندلس لم تطأ قدماه ارضها قط ، وقد الف كتابه فى فترة متأخرة نسبيا ، وهو الى ذلك يهمل تطور هذا الفن ، الذى لا يهمه منه سوى اوزانه الشعرية وشيوعه بين الناس ، اذ هو لا يكاد يلتفت الى التطور التدريجى فى التاريخ • غير ان المعلومات التى يقدمها الينا ثمينة ، فهو يقول :

1) « والخرجة عبارة عن القفل الاخير من الموشح »

2) « والمشروع بل المفروض فى الخرجة ان يجعل الخروج اليها وثبا واستطرادا وقولا مستعارا على بعض الالسنة ، اما السنة الناطق او الصامت او على الاغراض المختلفة الاجناس (•••) ولا بد فى البيت الذى قبل الخرجة من : قال او قلت او قالت ، او غنى او غنيت او غنت »

3) والشرط فيها ان تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة حادة منضجة ، من الفاظ العامة ولغات الداصة (•••) وقد تكون الخرجة اعجمية اللفظ بشرط ان يكون لفظها ايضا فى العجمى سفسافا نفطيا ورماديا زطيا • »

4) «والخرجة هى ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره • وهى العاقبة وينبغى ان تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وان كانت الاخيرة • وقولى السابقة لانها التى ينبغى ان يسبق الخاطر اليها ويعملها من ينظم الموشح فى الاول وقبل ان يتقيد بوزن او قافية (•••) وبنى عليه الموشح لانه قد وجد الاساس وامسك الذنب ونصب عليه الرأس • »

5) وفى المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعير خرجة غيره • وهو اصوب رأيا ممن لا يوفق فى خرجته بان يعربها ويتعاقل ، ولا يلحن فيتخافف بل يتثاقل • » (1)

وهذه القواعد التى ذكرناها تصور طبعا تقاليد قديمة ، ونحن ، اذا ما

(1) انظر كتاب « دار الطراز » لابن سناء الملك • (ط ، الركابى ، ص 30 — 33)

ارجعناها الى اطارها التاريخى المتطور الذى اهمله ابن سناء الملك ، يحق لنا ان نرى ـ وذلك قبل التعرض الى بسط بعض الملاحظات المؤيدة لرأينا ـ اننـا لا نجازف اذا وجدنا فى هذه القواعد تأييدا كاملا لما كان لاحظه ابن بسام : وهو ان الموشح لم يكن فى الاصل سوى اطار جعل للاحاطة بخرجة رومانية كانت تؤخذ كما هى من التراث الشعرى للشعوب « الرومانية » المغلوبة على امرها ·

الموشح خليــط :

ويبدو لنا الموشح آخر الامــر فنا خليطا واتفاقـا وسطا بين الشعر العربى والشعر «الرومانى» الذين وصلا الى الاتحاد من جهة وبين انتاج الطبقة الخاصة وفن شعبى مزدهر من جهة اخرى · ولكى نقرب هذه الامور الى الاذهان فانه يمكن الاشارة الى « الغلوزاس » **(Glosas)** والى « اللتريلاس» (Letrillas) المنظومة على قوالب « الفيلانثيكوس» **(Villancicos)** الشعبية القديمـة التى تغص بها «الكانثيونيروس» **(Cancioneros)** التى نملكها وآثار احسن كتابنا الكلاسيكيين ، بل يمكن الرجــوع الى امثلة اكثر قربـا منا اى الى هذه الاغـانى الاسبانية الكثيرة الشيوع بيننا اليوم والتى تستعمل فيها « كوبلا » **(Copla)** مشهورة جدا كترجيعة لبعض المقطوعات او لقصص قصيرة مؤلفـة مـن بعض الشعراء المعاصرين · فنحن نقـول اذن ان الموشح هو انتـاج ادبـاء شعبيين (فلكلوريين) سابقين لأوانهم ، صنعوا فى مهارة فائقة هذا المزيج العسير المنال ينصهر فيه الجنسان ، وقد كانوا بدون شك عربا ارستقراطيين صميمين لكنهم كانوا ايضا من هواة الانتاج الشعبى ومن محبى تلك النزعة « السوقية » ـ وليس فى هذه الكلمة اى تحقير او تهجين ـ وهى النزعة التى ما انفكت تمثل عنصرا من العناصر القارة فى الثقافة الاسبانية ·

وليس من الغريب عندنا ان تتمازج اللغتان العربية والرومانية ، فنحن نعلم اليوم جيد العلم ان ازدواج لغة التخاطب كان امرا عاديا بالاندلس ، انما نحـن نعجب بعض الشىء لتمازج الادبين · وانه لما يدعو الى الحيرة حقا ان نرى الشعر العربى الكلاسيكى يضع نفسه فى خدمة شعر « رومانى » شعبى · وقد لاحظ الاستاذ ماسينيون ـ بما عهدناه فيه من دقة نظر ـ الانقلاب الذى حدث فى الصناعة الشعرية نفسها من حيث الشكل : « اذ كان الشعر الكلاسيكى يعمل على ابراز مطلع القصيد ـ وكانما هو اول نقرة لقوس الكمنجة (كما نــراه عند المتنبى) ـ بينما يبرز الموشح آخـر بيت فى القصيد ـ باعتبـاره قفلة اللحن وقمتــه » (1)

وفضل نظريتنا هذه انها تزيل التردد وعدم الاستقـرار الممـل الـذى وقعت الاشارة اليه منذ سنوات عديدة · فقد كان الناس يقولون ان الموشح قد وقع

(1) انظر مجلة الاندلس الجزء (14) سنة 1949 ص 43

ابتكاره بالاندلس ويقولون فى الوقت نفسه ان للموشح سوابق فى الشرق ، يخصون بالذكر منها **التسميط** الذى يؤدى فى بعض قصائد ابى نواس الى ظهور « شبه موشح » • فما هو فى هذه الحال نصيب « الابتكار » الاندلسى المذكور ؟ وكان ريبيرا يرى للشعر الغنائى الرومانى القديم اثرا فى هيكل القصيد وفى «المقطوعة الزجلية » ، فلم يكن يتسنى له ان يحل هذا التناقض • وبسط هذا المشكل يجب ان يكون فى نظرنا على خلاف هذه الصورة • فالشعر « الرومانى » الذى سبق الموشح لم يترك اثرا الا فى الخرجة • اما هيكل القصيد المركز حول الفقرات والذى يكون اطارا لهذه الخرجة فقد يكون ركب فى اول الامر على اصل عربى محض ونظم على مثال التسميط ـ بيد انا لا نريد ان نقدم فى هذا الامر اى تأكيد قاطع او اى نفى بات ـ وقد نتج هذا القصيد المزدوج الشكل عن توليد بين جنسين انصهرا فى وحدة تامة • وقد لجأ العنصر الاهلى « الرومانى » الى الخرجة فى حين احتفظت سائر اجزاء الموشح باللغة العربية الفصحى • وارى شخصيا ان هذا الضرب الجديد من الشعر قد تخلى عن الاوزان الشعرية الكلاسيكية بينما احتفظ بالاعراب ، وانه طرق الموضوعات المبتذلة المتداولة فى الشعر العربى الكلاسيكى طرقا مملا • ولئن كان اختلاف القوافى وتركيب القصيد فى شكل مقطوعات قد ادخل على هذه القوالب تغيرا خفيفا وكساها صبغة اقرب الى الفن الغنائى ، فان هذه الفروق الضئيلة سطحية لا تخدع الناظر المتعمق •

تطور الموشح :

نحن لا نعرف اليوم اى موشح من الموشحات الاولى التى قد تكون بدائية تنقصها المهارة، غير ان ابن بسام وابن سعيد (فيما نقل عنه ابن خلدون) يتفقان فى التأكيد بان هذا الفن الشعرى قد تطور بسرعة منذ نشأته ، وانه سرعان ما بلغ استقرارا يكاد يكون كاملا • ولئن كان ابن بسام يشير الى بعض التحسينات التى حصلت فى الموشح ، على مراحل ، خلال القرن العاشر ، فان انعدام الوثائق الراجعة الى ذلك العهد لا يمكن ان يؤدى بنا الا الى افتراضات لا ترتكز على اساس ثابت •

غير انه يمكننا التأكيد ـ اعتمادا على ابن بسام ـ ان هذا الفن قد بلغ اوج كماله على يد عبادة بن ماء السماء الذى بقى لنا عدد من موشحاته ـ وقد كان يعيش بين اواخر القرن العاشر ومطلع القرن الحادى عشر (ميلادى)

ويقدم لنا ابن خلدون بعض المعلومات (نقلا عن ابن سعيد) عن تطور الموشح فيما بعد ذلك ، وبامكاننا الآن ان نراقب هذه المعلومات بفضل المواد الثمينة التى احتوى عليها مخطوط ابن بشرى الغرناطى (وهو على ملك كولان (Colin) وكتاب « جيش التوشيح » لابن الخطيب • وفى انتظار الفهرست الكامل الذى وعدنا به ستارن فنحن نملك فهرست هارتمان الذى ما يزال صالحا •

شكـل المـوشح العــادى :

لنحاول تلخيص ما قلنا : فالموشح الذى وقع ابتكاره فى اواخر القرن التاسع او فى مطلع القرن العاشر (ميلادى) يبدو كامل التكوين بعد ذلك بقرن تقريبا · ومن حسن الحظ ان كنا نملك بعض الاشعار التى ترجع الى ذلك العصر ·

والموشح ، فى شكله الاول العــادى ، شعر جعل ليكون اطارا يحيط بخرجــة « رومانية » هى عقدته ومحور ارتكازه · ويسبق الخرجة خمس او ست فقرات منظومة بالعربية الفصحى تنقسم كل منها الى قسمين: قسم قوافيه مستقلة عن الخرجة وقسم ثان منظوم ومقفى على وزن الخرجة وقافيتها ، تلك الخرجة التى تمثل جزءا مكونا من الفقرة الاخيرة ·

ونجد احيانا فى اول الموشح مطلعا على شاكلة الخرجة ووزنها ·

والموشح الذى ليس له مطلع يسمى « أقرع »

استمرار الموشح على الشكل العــادى :

ونظرا للنزعة المحافظة التى تتميز بها كافة التقاليد الثقافية العربية وخاصة منها التقاليد الادبية فقد امكن لهذا القــالب العادى للموشح ان يجتــاز قرونا عديدة · ولم ينفك موجودا الى آخر عهد المسلمين فى الاندلس ، محتفظا غالبا بخصائصه الاولى · ثم انا نرى الخرجة نفسها تبرز من جديد فى عصور متقدمة من تاريخ الاندلس ، هذا ولئن كان دورها ومعناها يدخلان علينا بعض الحيرة فان شكلها يثير لدينا عددا من المشاكل الثانوية · ولنذكر اخيرا ذلك الامر الذى كنا اشرنا اليه دون استغراب ، وهو ان الموشح لم يكن مجهولا عند اليهود ، وهم المقلدون لكافــة الفنون الادبية الشائعة بالاندلس ، والمحافظون ، فى بعض النواحى ، اكثر من العرب انفسهم ·

ولم يدخل على هيكل الموشح تغييرات داخلية طارئة ، سوى ما كان فى بعض الحالات الخاصة كان فيها لرغبة التعقيد والتصنع دور اكبر من رغبة التجديد والطرافة ، على انه يجب ان نقرأ حسابا لاثر الخصومات والمساجلات الادبية فى الموشح وما كان يطرأ عليه من ضغط ومد وجزر تصدر عن الفريقين المتقابلين ، وتعجز اشد الاوساط محافظة عن وقايته منها ·

وقد تحملت الخرجة ، كما سنرى ، عبء هذه الخصومات ، وكانت ضحيتها ، ومن جهة اخرى فقد كان التطور يسرى فى الاندلس العربية : وقد اصبح النساخ والجمهور بل وحتى الشعراء انفسهم لا يفهمون اللغة « الرومانية » من جراء تقهقر الازدواج فى اللغة ، فاهملت خرجات عديدة وضاعت : وهــذا تــاريخ الاندلس يفسر لنا قلة ما وصلنا من هذه الخرجات ·

الموشح تحت تأثير النزعة الكلاسيكية : محاولات ارجاع الموشح الى صلب الشعر العربي :

كان اول مصدر لهذا التأثير هو الفريق « العربي » ٠ وكان تأثيرا قويا يعمده الدين ويؤازره لون الثقافة العام ويعززه التطور السياسي الموالي للنزعة العربية القديمة والذي لم يكن يأبه لابقاء جو من التفاهم المشترك ٠ وقد شعرت النزعة الكلاسيكية العربية ، المشتدة يوما بعد يوم ، انها مهددة من طرف هذا الفن الهجين المولد الذي هو الموشح فحاولت طبعا ان تقوم برد الفعل ضد هذا الخطر وذلك بمحاولة ابتلاع هذا الفن الجديد وارجاعه الى صلبها ٠ فاخذ الشعراء ينظمون الخرجة باللغة العربية الفصحى عوضا عن اللغة « الرومانية » ، واخذوا ينظمون الموشحات على اوزان البحور العربية الكلاسيكية ٠ وقد سجل ابن سناء الملك كلا من الامرين – وانا سوف نعود الى الثاني فنحلله – هذا وان « مخمسات » ابن زيدون او ابن زمرك تمثل اقصى ما وصلت اليه هذه العملية في ارجاع فن الموشح الى صلب الكلاسيكية ، وهي تبرز عودة تكاد تكون كاملة الى « التسميط » القديم وتحررا من نطاق الفقرات الخمس او السمت العادية ٠

الموشح تحت تأثير النزعة الشعبية : ظهور الزجل :

اما التأثير الثاني ، الصادر عن النزعة الشعبية ، فقد كان معاكسا للاول ٠ وكلما توصل هذا التأثير الى فتح ثغرة فانها ما تنفك تتسع شيئا فشيئا ، وسرعان ما اصبحت الخرجة تنظم باللغة العامية السوقية عوضا عن اللغة « الرومانية » – وسوف نعود الى هذه النزعة التي تحدث عنها ابن سناء الملك بوضوح – وتصل هذه النزعة الشعبية الى الازدهار في الزجل ، ونحن لا نعلم بصورة مدققة متى ظهر فن الزجل ، وان كنا نملك ، زيادة على بعض القطع المتفرقة ، ديوانا كاملا ثمينا في هذا الفن – وهو ديوان ابن قزمان الشهير – وكتابا نظريا شرقيا في نظم الازجال (1) ونحن نفترض انه ظهر في عهد مؤخر اي قبيل مجيء شاعره الكبير الذي اذاع صيته ونشره ٠

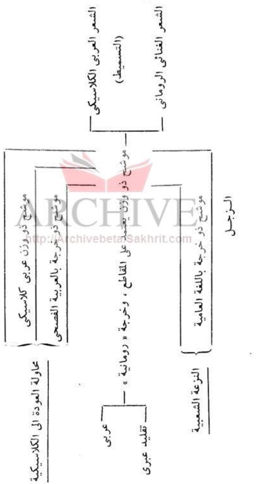
وقد مكننا ستارن بمقاله « دراسات حول ابن قزمان » (الاندلس – سنة 1951) من التمييز جيدا بين الموشح والزجل ٠ ونحن نحيل القارىء الى هذا المقال ولنكتف بالقول ان بعض ازجال ابن قزمان تكاد تكون موشحات وان بعضا منها يختلف عن الموشح اختلافا ملموسا رغم قيام الخرجة فيها بوظيفتها الاصلية ٠ ويمكن القول ختاما وبصورة مجملة ان الزجل يختلف عن الموشح :

1) لانه ينظم بأكمله باللغة العامية ولا يخضع للاعراب

(1) كتاب « العاطل الحالي والمرخص الغالي » لصفي الدين الحلي نشر « هونرباخ » بمدينة فيسبادن سنة 1956
وانظر مجلة الاندلس ، جزء (15) ، سنة 1950 ص 297 – 334

2) لانه يمكن ان يشتمل على عدد من الفقرات يزيد على عدد فقرات الموشح
3) لان الخرجة قد فقدت فيه ـ او كادت تفقد ـ جميع خصائصها ، ولان اللغة « الرومانية » لا تظهر فى الزجل ـ ان هى ظهرت ـ الا فى صورة كلمات منفردة مبعثرة فى الابيات حسب الاتفاق والصدفة ٠
4) لان الزجل كثيرا ما يفقد الصبغة الغنائية ويتبنى اسلوبا قصصيا بينا ٠

جدول ملخص لتطور الموشح :



اغنية للمطـــــــــــر

شعر : ملك عبد العــزيز

القصيــدة الثانيــة

غـنيتُ يـا مطـر ...
أغنيـةً لهيفة تـدعوكْ ...
غـنيـتُ لـكْ
واسدلـت عيناي في غياهب الحلـكْ
دموعهـا سخيـة تـدعـوك .
وفـي الصبـاح جاء الغيم يحملـك
في سربه الخصيب المحتلك .
دعـوت ان يـسخـو ...
يجود ... ان يجـود بك ! ...
سينـتشي قلبـي ...
هيامه اللهيف يرتوي
لو بلـه من مـامـك السخي قطرة مـا !
غـنيتُ لـك ....
لكن ريحـا مـرة قد بـددتـكْ
بددت الغيم الملء المحتلـكْ
تسوقـه الى مشارق الافق .
وعندمـا رفعت عينـي للسمـاءْ
اشيـع الغمـام المنطلـق
وجدته ـ الغيم ـ في عينيَّ باق محتلك
سُحْبا من الدموع ....

ملـك عبد العزيـز
القاهرة

الله اكبر ! مات لويس ماسينيون

بقلم : الشاذلي بويحيي

غيرى يحرجه التلفظ بهذا ويحجم عـن الامضاء اسفلـه ويتحاشى السخط والاستنكار واللوم العنيف •

الله اكبر ! اكررها لا تحديا لقوم ضلوا السبيل فوقفوا الفوز فى هذه الدار والفلاح فى الآخرة على مـن ردد كلمات قـد لا يفقه فحواها حينا وقد ينافق بتلاوتها احيانا • ولا ترحما على من كفاه عمله الصالح واخلاص العقيدة فى الحق ترحم المترحمين •

بل اصدع بها تكبيرة هى الشهادة على ان ذوى الفضل على العالمين لا ينبغى ان يغبنوا اجرهم • والله ـ وعباده ـ شهيد ان فقيد الفكر والفلسفة والعلم له على الاسلام والمسلمين اياد يأبى الله وعباده والحق ان ينسى فضلهـا او ان يعبث بها العقوق فتنكر ويعرض عن ذكرها فتصبح بين الانام نسيا منسيا •

غيرى ـ ولا شك ـ سيعدد للويس ماسينيون مواقفـه الحاسمة فى وجه العدوان للاسلام والمسلمين معلنا بين ارجاء اوقر معاهد العلم والتعليم او على صفحات اكثر الصحف السيارة رواجا صوت العدل والحق المبين •

غيرى ـ ولا ريب ـ سيذكر ابناء العروبة كم مرة رفع العلامة الراحل صوته فى سبيل الاسلام والعـروبة بينما الاسلام والعروبة فى غفلـة عن كيانهما وشغل شاغل عن صالحهما •

غيرى يستوقفه من الفقيد تفانيه فى سبيل شعب مشرد عن الاوطان او ملك مغرب عن عرشه او امة مناضلة للكرامة والحياة •

غيرى يحن الى صوت هذا الداعى الغريب الشأن يعلو صخب المعارك الهوج تذكيها العداوة والبغضاء والصلف المقيت فيدعو الى الاخاء الروحى والمنـاجـاة الزكية فى صلوات تجمع شتيت المذاهب والملل فى معبد يجثو فيه الانسان فى محض انسانيته امام الاله الصمد فى مطلق الوهيته فينضم الى صوته الملهم الحيران اصوات الامم الحيرى وتلتقى عبادتهم الصاعدة من بين ضبابات الغـرب

القصى بنداء محمد اقبال المرتفع من مهد الحكمة الازلية الخالدة من بلاد الشرق • فيصعد من الارض بأسرها تسبيح الانسان كانسان جرد صلاته فاخلصها الى الله لا يريد منها الا الشهادة •

غيرى ــ نعم ــ تحركه من حياة لويس ماسينيون ايات الاخلاص والتفانى فى سبيل الحق والخير وحب الانسان •

غيرى •

اما انا فقد هبت بى هذه الخطرات فما الهمتنى او ابيت عليها الهامها وان كانت فى ذاتها زوابع عصفا اذ ان الرجل كان فى كفاحه بطلا بما اوتى من قوى اليقين •

اعرضت عن هذا وذهبت بى الهواجس مذهبا آخر فنظرت الى العالم الباحث وذكرت ما كنت سمعت منه او قرأت له فاكبرت فيه من بين ما اكبرت لا صفته عالما بل كونه مستشرقا •

ولعلى لم أكن لاكبر فى الاستاذ لويس ماسينيون من بين ما هو جدير بالاكبار فيه صفته مستشرقا ولا ان افكر فى ان هذه الخلة من خلاله العديدة جديرة بان تذكر فى تأبينه دون غيرها لولا حدث ضئيل فى ذاته لغى :

هو نبأ قراته منذ قليل فى غضون اسطر منسية من اواخر صفحات عدد شهر جويلية ــ تموز 1962 من مجلة « الفكر » التونسية رددت فيه صدى استجواب مجلة اخرى لاحد ابناء العرب المشتغلين بالنشر من بين ما يشتغلون به •

واخذت افكر بعد قراءة هذا « الصدى » (او الصدا ؟) فأتساءل هل يجمل بأهل الشرق ان يقفوا من عمل المستشرقين موقف العقوق فينعون عليهم حركتهم وينادون بأفول نجم الاستشراق ويطالبون ــ او كأنهم ــ بأن يترك المستشرقون للشرقيين امر القيام باحياء تراثهم ؟

ماذا يضير الشرق ان يتابع الغرب بحثه عن مآثر الشرق وانواره ؟ وهب ان من العرب من وصل الى درجة اتقان ما سنه اهل الغرب من اساليب اكتشاف التراث ونشره وتحقيقه فهل لعاقل ان يرى الاستغناء عن مساعدة المعين الدائب معك بلبنته فى بناء صرح مجدك ؟ على انك تقصد بتشييده الى العز والفخار بينما لعله لا يقصد هو من ذلك الا الى العلم المجرد النزيه • وبعيد ما بين رجل قام

بواجبه نحو تراثه يعمل من اجله فلا شكر وبين رجل اقبل على تراث غيره فقصد الى اجلاء غشاوة النسيان عنـه وصدا القرون لا يحـدوه فى ذلك الا حب العلم والفن والمعرفة الزكية ٠

وهذا هو العالم الحق لو فكرنا لا ذاك الآخر

ثم لو اتجهنا بالنظر الحصيف الى حب الاوطان وخدمة مجدها واعلاء صيتها بين الانام لتبينا ان الباحث فى تراث بلاده لا يزيد على القيام بالفرض ولا يهيء لقومه المقام بين اهل العلم فهذا المقام لمن تجرد عن الفرض والجزاء والنيل القريب فكان همه خدمة الانسان وفتح الافق البعيد امام الفكر البشرى ٠ بذلك يبرهن ان قومه تجاوزوا الضرورى الى الكماليات ٠ بذلك يفرض قومه على الاقوام فى حقل الحضارة العالمية ويتبوأ هو مكانه بين قادة الفكر البشرى ٠ بذلك لا بغيره ٠

أفتحرمه حقه من ذلك٠ وبأى مشيئة ؟ والعلم بين الناس مشاع ليس لاحد ان يحتكره دون غيره ولعلها اعظم ميزة يمتاز بها العلم ٠

فهل يجمل بنا ان نمنعهم ٠٠٠ بل ماذا اقول ؟ وليس فى استطاعة انسان ان يمنع من ذلك انسانا ٠ اذن ما معنى التلفظ بالمنع ؟ او الهم بالمنع ؟ او نيته وترجيه ؟ اهو مجرد مظهر من مظاهر داء طغى على الشرق يسمونه « الديماغوجيه » يتراءى فى زى الذب عن القومية فلا يزيد على التعمية وطمس الحقائق وجر الوبال على هذه القومية ٠ ام هو غير الديماغوجية ؟ فماذا يكون اذن ان لم يكن جهلا فادحا بالعلم وسننه البدائية وجوهره المبين ؟

هل يشعر الشرق بالرزية التى اصابته منذ سنوات فى تراثه ومجده بموت جـان صـوفـاجى Jean Sauvaget وليفى بـروفنصـال Lévi Provençal ووليـام مـارسى W. Marçais وجورج مارسى G. Marçais ولويس ماسينيون Louis Massignon رحمة الله عليهم اجمعين ؟ ان كان لا يشعر بذلك ــ لا قدر الله ــ فرحمة الله على الشرق ٠

الشاذلى بـويحيى

مــن الامــس !

اقصوصة بقلم : رشيد الغـالي

جلس الى رفيقه وشرع يحدثه عن سلوكهما الطائشٍ وعن تأثيرات هذا السلوك في نفسيتهما وفي تفكيرهما وفي الجانبِ الصحي...

ولم يجبه رفيقه عن أسئلته وانما انصرف الى مراقبة حركات احدى الفتيات كانت جالسة بالقرب منهما بالمقهى... ولما نهضا التفت اليه رفيقه وقال له :

ـ ما دمت أنت تعرف كل هذا عن سلوكنا فبادر باجتناب مساويه ؟
ولم يجبه..، وقضيا نحو الساعة من الزمن في السير بدون غاية مرسومة. وأخذ المطر ينزل رذاذا فالتفت اليه رفيقه وقال له :

ـ أفكرت في شعور الفلاح نحو هذه الامطار ؟

ـ لا ؟

ـ اذن أنت لست بإنسان اجتماعي ؟

ـ لم أفكر الا في أنها تزعجني ؟

وتركه رفيقه ، وأخذ يلاحق احدى الفتيات فاشتكت به الى احد أعوان الشرطة..، ولما أخذ العون ينصحه قال له :

ـ أنا مذنب، كما أني أمقت الدروس الاخلاقية. فعليك أن تحملني الى السجن أوتترك سبيلي ؟

* * *

... ولما استفسر رفيقه عن برنامج سهرته الليلة، أخبره بأنه سئم كل شيء...

وسهر هو تلك الليلة..، سهر أكثر من العادة، الى ساعة متأخرة من الليل... وشرب كثيرا من الخمر..، بل أفرط في الشراب. ولما لفظته الحانات الليلية في جوف الدجى الفى نفسه يسير في الشوارع المقفرة...

وأخذ يسير بدون غاية أو هدف معين،... ومن حين لآخر يمر شخص يسعى الى عمله، أو آخر يغادر عمله الليلي... ولما أعياه المسير ترنّح قليلا أمام عمود حديدي انتصب على حافة الطريق. فاقترب منه وطوّقه بذراعيه ثم أسند اليه خده وأخذ يرنو الى قطة ثقل عليها الليل فانكمشت على عتبة باب دكان مغلق..

ولا يدري كيف أولماذا سالت من عينيه دمعتان كبيرتان ؟ فتمتم : "ما أشقاني ؟ عمّاذا أبحث ؟ ما دفعني الى هذا الارق ؟.."

ولما عاد الى بيته نام نوما عميقا ... ومن الغد قرر أن يقضي بقية عطلته عند والديه بالريف، لان تعطله عن العمل يوتر أعصابه بالمدينة ...

وأحسّ بشيء من الاستقرار في الريف، وبجوار أمه الحنون... وبعد أسبوع،.. استيقظ ذات يوم بكرة فتململ على الفراش، ثم سكن وقد أطربته زقزقة العصافير على أفنانها، فمدّ يده الى المذياع وفتحه، فانتهى اليه صوت رخيم، يرتل بعض الآيات القرآنية... فغاص في فراشه بعدما أسدل على وجهه الغطاء وبقي يستمع الى الصوت يمتدّ ثم يرتفع وينخفض..، وينقطع برهة من الزمن ليعيد الترتيل...،

ونهض بعد نشرة الاخبار الصباحية،... وقصد القرية،... وتجوّل في أنهجها الضيقة، الملتوية....

وتوقف أمام كتّاب القرية،... كان المؤدب قابعا في وسط الحلقة يراقب الاطفال بعينين جامدتين جفّ بريقهما، ومن حين لآخر ترتفع العصا وتهوي على رأس هذا أو ذاك فتنطلق الاصوات تختطف الكلمات وترتفع الجلبة...

وعاد أدراجه الى البيت،... واتجه الى أمه وعانقها : "إني أحبك كثيرا ؟ سأتزوج بفتاة من هنا..، من هنا، لا أعرفها ولا أعرف عنها أي شيء ستختارينها لي أنت..، أنت، أفهمت ؟"

وامتلك أمه من الفرح مالا يوصف :

"أحقا ما تقول يا بني ؟" واغرورقت عيناها بالدموع ...

أمّا هو، فإنه لم تخطر على باله فكرة الزواج من قبل، وانما هكذا، ولاسباب خفية لم يتبين فحواها، قرّر أن يتزوج..، أن يتزوّج بفتاة ريفية..؟

وقد يندم على هذا الاندفاع المتسرّع ..، وقد تخلف هذه الطفرة الجائرة، التي اتسمت بها ارادته ، مأساة كبرى، ولكنه مع علمه بكل هذا يقدم على فعل كل شيء... وكلما حاول التفكير بجدّ في المستقبل وفي النتائج التي في الامكان أن توجد، ترتفع الى رأسه ذبذبة مجنونة ويغمره الافلاس فيصمت...

أما أمه فانها قضت أياما وهي تطوف من منزل الى آخر تبحث عن الفتاة التي ترضاها لابنها الشاب....

ولما انتهت عملية الغربلة والفرز، استقرّ الامر على احداهنّ... وتقدّم أبوه مع ثلة من " أعيان القرية " لينجزوا الاعمال التقليدية للخطوبة ...

* * *

ومضى شهر،... وكان يكتب لرفيقه من الريف :

"... لم يكن في الحسبان أن أرى خطيبتي قبل الزواج ؛ ولكن الامر العجب هو أنها، هي، التي سعت الى ذلك باحتشام وبطرق ملتوية...،

أنّي أراها تنزلق بين الاشجار ..، وبجانب الساقية... ما أجمل العفوية ؟.

أعلم أنّك ستبتسم لسخافة ما أكتب. ولكنّي بهذا سعيد الى أقصى حد .."

... وأخذت أمه تعدّ عدّة الزواج ولكن حادثا بسيطا عطل كلّ شيء ...

لقد رمي بالطيش والعبث في أحد الاسمار ... نعم رمي بالطيش والعبث، فابتسم... ابتسم ثم عبس فجأة وقد أحسّ بدبيب بارد يسري في دمائه وانتفض انتفاضة شديدة ثم سكن... ولما بهت القوم شهق في جعجعة مريرة فرمي، مع الطيش والعبث، بالعته والجنون...

* * *

وشق طريقه اليها لا يلوي على شيء... وأمسكها بين ذراعيه وكبت صيحتها بين شفتيه في قبلة أودعها كل حرارة أمانيه...

كان يعلم، منذ البدء، أن هذا لايمكن أن يكون خاصة في الريف،... كما أن هذا العمل، اذا ما افتضح سره ، يقود الى براز عنيف لا ينتهي الا بالموت...

ولكنه مغامر جرىء لايبالي...

قالت له : ــ الا تعرف أن هذا الفعل حرام ؟

ــ بل هو أحلّ من الحلال ؟

وغادرته بعدما توسّلت اليه بان يختفي عن الانظار..، وبقي هو ينظر اليها تغيب و... وتنتهي...

وعاد الى المدينة للعمل ،.. واستقبله رفيقه مرحبا... ولما سأله عن زوجته قال له بأنها ماتت في الاسبوع الثاني من الزواج ؟ ومرت الايام ... وانطفأت حرائق هذه الحادثة،...

واندمج في جوّ مفعم بفتيات المدينة، ولم يخلف له هذا الجو الا سأما مقيما ومللا مزعجا،... وذات يوم أخبره أحد أبناء عمومته بالريف أن فتاته الريفية قد تزوجتبفلان "الوقور" فأحسّ بألم يحزّ في وجدانه،... وعاد تلك الليلة، الى بيته بكرة.. عاد وهو يحترق شوقا الى رؤيتها...

واشعل سيجارة ثم عبّ منها نفسا مديدا... ثم أخذ قلمه وسجل مذكراته وأخذ يكتب :

"أنت الآن في مكان ما من الارض..، من هذه الارض الحبيبة،... لا أعلم عنك شيئا سوى أنك تعيشين..، تعيشين في بيت ريفي أنيق. فالطبيعة تمنحك السلامة وتدفع بعناصر جسمك الغضّ الى الفوران...

أراك الآن كيف تقفين الى شجر الزيتون وكيف تمسكين بأوراقها الخضراء الداكنة، في حركة الشارد أو المحلق في الفضاء البعيد...

أراك وقد ثقلت عليك وحدتك فتسرعين الى غرفتك وتقفين الى مرآتك: طفلة !...

وتعيدين ضفر شعرك الاصفر، الناعم..، وتتزينين ؛ وتتزينين، وتترقبين سيدك ، صاحب الوقار والاصل العريق، والاحترام..، سيدك المتدين الذي لايعاقر الخمر ولا يدخن ولا يلبس بدلة الافرنج، "الكفّار"، ولا يذهب الى السنما بل يحفظ الستين حزبا من القرآن الكريم ...

آه ! ما أحقرني في نظر من باعوك ؟ وما أحقرني عندما أذكره وأعيره اهتمام الذكر... فهو لا شيء يذكر بل هو موطن الزور والنفاق والانانية... فإبليس يقطن تحت جبّته "المحترمة" ويتنفس من بطنه المنتفخ..."

"أنت الآن في مكان ما من الأرض.. من هذه الارض... لاأعلم عنك شيئا سوى أنك تعيشين... ولكن كيف تعيشين ؟

اني أراك الآن..، أراك تنفرين من وجوده الى صدرك أكثر من نفورك لوحدتك..

ولست وحدك تنتحرين. فعلى ثرى هذه الارض آلاف من الضحايا المنتحرين...

قد يدفعك شعورك النسائي، في فترة من فترات خلواتك، الى أن تبتسمي له..، الى أن تبتسمي له لكي توهمي نفسك بأنك امرأة، لها زوج كما كنت تحلمين... ولكن الابتسامة، أراها الآن، تغيض وتجف على محياك، لتنفجر في أعماقك رعدة ماسخة..."

"لا أدري لماذا أذكر الآن... فأنت ذهبت ولن تعودي... فأنت ماضي تناثر عليه غبار الايام والنسيان...

أتذكرين كلمتنا ؟ كلمتنا تلك ؟ أتذكرينها ؟ لا ! انها ذهبت كما ذهبت..، ذهبت وطوتها لحظة من لحظات هذه الحياة السائرة ولكني أعلم أن أثرها باق ما بقيت فيك أنفاس تختلج وأحاسيس ترف... انها كلمة لم تصنعها أحرف، انها تهفو فتلامس ثم تغور في القرار العميق... انها هي التي تتلوى في أعطافك وتدب في دمائك النابضة... انها هي التي ترعش أنفاسك اللاهثة وتجعل يدك تمتد الى صدرك، الى شفتيك، الى شعرك الناعم... انها هي التي تجعل ذراعيك تنفتحان للنور، للافق، للبعد السحيق...

هي، هي أنت في أبعد معانيك..، معاني أنوثتك..."

"لاأدري لماذا عدت الى بيتي الآن...؟ ألأراك ؟ لاراك أنت...

أنت التي ذهبت..، أنت ! نعم أنت ذلك الماضي الذي أثقله نظري. أنت ماض لم يعبر وحاضر لم يوجد ومستقبل تائه في فراغ "

"لقد أردتك، يوما، بكل اخلاص..، ورأيت فيك النبع الصافي الاصيل لقد أردتك كما أنت بيضاء، شفافة البوح، لاخفي أنفاسي المحترقة... العطشى في أعطافك الناعمة. فكنت تلك الاشعاعة التي أومضت في ذاتي فأشرقت الاشراقة الكبرى...

ولكن الصدف شاءت أن تودعيني بصوت بحه الصمت فلم تبق لي منه الا همهمات ترقص في سراب أحلامي... أما أنا ... أنا الآن ما زلت ذلك الشيء التافه الذي ترعشه انتفاضاته فيرتعد ويسكن خاوي الذهن..."

* * *

ولما انتهى الى هذا الحد أدار قلمه بين أصابعه... ثم أغمض عينيه وأسلم رأسه بين ذراعيه وحاول النوم ولكن.....

قطوستي

شعر : زين العابدين السنوسي

قَطُّوستِي بَدِيعَةٌ تَخْطِفُ أنْظَارَ الغُوَّاةْ
وَفَرْوُهَا، فِي مِثْلِهِ تَحْسِدُهَا كُلَّ فتَاةْ
لَمْ تُعْطَهُ، وَلَنْ تُعيرَ أبَدا، حتَّى المَمَاتْ
تَخْتَالُ فِي بَيَاضِهِ الثَّلْجِيِّ بَيْنَ الغَانِيَاتْ
وَهُنَّ قَدْ وَدَّتْ بِهِ أكْتَافُهُنَّ العَارِيَاتْ
لَوْ تَكتَسِي مَعْشَارَهُ وَلَوْ بِأغْلَى الثَّرَوَاتْ

القطوس : لفظ لاتيني (كما ننطقه اليوم Cattus) قد وزعوه على جميع أطراف الدنيا التي لامسوها أيام مجد انتشارهم، بما في ذلك من البلاد العربية.

الا أننا نجد القواميس العربية قد استعملت من هاته اللفظة الثلاثية المقاطع نصفها الاول فقط، فنزعوا عنها ذيلها، اذ أثبتوا القط تاركين طوس الذي هو ذيلها.

انه ليعز عليّ أن أقطع ذيل قطوستي، الذي هو نصف جمالها، ولعله : ذيل الطاووس في هذه القطوسة التي تعاشرني بأجيالها منذ 60 عاما.

فَهْيَ تَهزّ ذَيْلَه   تَيَّاهَةً في الْمُغْرمَاتْ
كَاشِفَةً عَنْ كُلِّ سِرٍ   مِنْ مَفَاتِنِ الحَيَاةْ
غَاوِيةً بِفَرْوِهَا   تَخْلِبُ لُبَّ الغَاوِياتْ
فَلاَ يَجِدْنَ إلاَّ أنْ   يَلْعَقْنَهُ بِالنَّظَرَاتْ
أوْ يَتَمَسَّحْنَ عَلَيْهِ كَهُبُوبِ النَّسَمَاتْ
وَعِنْدَهَا تُبْدِي الرِّضَا   وَهَرَّةَ الْمُخَرَّفَاتْ
ومَا عَسَاهَا أنْ تَقُولَ   في جَوَابِ الحَاسِدَاتْ
مَا أنْ تَحَبَّبْنَ لَهَا   غَيْرَ الهُرَا والتُّرَّهَاتْ
حَتَّى إذَا لاَطَفْتَهَا   رَدَّتْ لَكَ الْمُلاَطَفَاتْ

وما ضر اخواني قراء العربية أن نتمم عليها ما أسقطه الفيروزبادي من ذيلها الجميل، غفر الله له. على أننا نعرف أن فعلته قد كانت تقليدا أعمى لفريق ضال من أعقاب هؤلاء اللاطينيين الذين أورثوا أعقابهم من الايطاليين هذا الاسم منقصا، بحيث تلقاه (قاطو) على لسانهم. ونجده أكثر بترا وتشويها في فم اخوانهم الفرنسيين اذ قلبوا طاءه شينا ونطقوه (شا) ولم يبقوا من طائه الاحرفا خفيفا أثريا قد كتبوه في خطهم تاءا ولكنهم يعضون عليها حتى لن يبين هذا الذنب من أفواههم أبداً.

ويعجبني تعليل الاستاذ البشير خريف لما عمله مدونو القاموس العربي في ذيل هذا الحيوان الاليف، فقد قال "إن العرب أقرب الى المشرق، وقد سهّل عليهم قطع ذنبه انهم وجدوا قطط بلاد السيام مقطوعة الاذناب" وهو تعليل وجيه جدا بحجته الجغرافية في تنوعات هذا الحيوان فقد غزوا بلاد الصين من قبل أن يبدؤوا في تدوين قواميسهم. ولابدع أن يرى تجارهم تلك المقاطيع بأعينهم. وهو تعليل يسهل علينا اعادة الحق الى نصابه بان نرجع لحيوانا اللطيف اسمه الكامل غير منقوص من حقه، خصوصا وان قطوستي تركية كاملة البهجة

فَـإن تَـزِدْهـا زَايِـدَتْ لِغَـايَـةِ الْمُعَـابَـثَـاتْ
وَلَـمْ يَـزَلْ نَشَـاطُهَـا يَـزْدَادُ بِـالْمُـلاَعَبَـاتْ
شَبَـابُهَـا يُـعِـيـنُهَـا وَالطَّبْعُ فِيهِ مُغْـرِيَـاتْ
وَقَـدْ تَعَـضْ يَـدَكَ وَالـدَّهْـرُ كُلُّـهُ عِظَـاتْ

* * *

إنْ أعْجَبَتْـكَ فِتْنَـةٌ فَاحْتَمِـلِ الْـمُفَاجَـاتْ
إنَّ الحَيَـاةَ كُـلَّـهَـا عَـوَاقِبٌ مشْتَبِكَـاتْ

والذيل الوفير فمالي ولهاته النقيصات، زادها الله كمالا فيما يجد من نسلها الجميل.

ولعل من المناسب أن نعرف أن الاصمعي قد عدد لتلميذه المأمون أسماءه في العربية من السنور والهر و.. وأورد عن كثرة أسمائه التسعة لطيفة في كتابه "النوادر" فلو حسب اخواننا أن ارجاع هذا الذيل على قطوستي إحداثا لاسم جديد، لما كان ثقلا أن نكمل التسعة بما يصلحها من هذا العاشر. فرقم 9 من شر الارقام في أسرارها ومع ذلك، فان "الرجوع الى الاصل فضيلة" وارجاع الحق لمستحقيه من صلب العدالة البشرية. وكم للشعراء من رجوع بالكلمات القاموسية الى اصولها كما نصه ابن رشيق في كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده" وبينه صاحب "خزانة الادب" في شرحه.

وقد نص المحدثون من العلماء على أن من نواميس الحياة "ان الرجوع الى الاصل، بادني سبب" فاستبقوا لهرتي ذنبها، نزع الله ذنوبنا جميعا، اكتعين ابتعين أبصعين !

زين العابدين السنوسي

يوم زروق والشاعر الوني

بالقلعـة الصغـرى (1)

بقلم : **محمد الهادي العامري**

ثورة علي بن غذاهم التي وقعت بتونس سنة 1280 هـ شغلت الكثير من صحف التاريخ التونسي لانها أول ثورة (جماعية) تجاوبت فيها أطراف البلاد من أقصاها الى أدناها على غاية من النظام والاتقان والإحكام وصمم الثوار فيها على مقاومة حكومة الصادق باي ووزيره مصطفى خزندار مهما كان الثمن. اندلعت الثورة في اصرار وثبات وتغلبت على حكومة الصادق باي ولم تبق له أمرا نافذا الا في العاصمة وما حولها في اثني عشر ميلا وبلغ السكين العظم وضاقت السبل أمام الباي ولم يسعه الا التفكير في وسائل تفرقة الشعب وبث الفوضى بين صفوف الثائرين بالوعود الكاذبة والعهود الخلابة والتراجع الخدّاع بواسطة أعوانه وبذلك اقتدر على خرق الصفوف وتمكن من تخضيد الشوكة في مملكته وبقي الساحل مصراً على المقاومة لم تخدعه التمويهات فعجم عيدان رجاله فوجد أحمد زروق وزير الحرب في دولته أصلبها عودا فرمى به أهل الساحل.

كان هذا الوزير آية في القساوة ومثلا مضروبا في الشدّة والإسراف في تنفيذ الاوامر الشريرة وجمع له الباي جماعة من (زواوة) وأرسلهم تحت قيادته للانتقام من الساحل وتغريمه والفتك برجال الثورة فيه وأوصاه بأن لا يتجاوز عن المسيء ولا يقبل من المحسن ويعامل الجميع بسائر ضروب النكـال.

وصمم وزير الحرب زروق في اصرار على أن يمثل بثوار القلعة الصغرى وأن يذيقهم ألوان العذاب لانهم يقومون مقام الرعيل الاول من الثورة تؤيدهم مساكن والمنستير وبعض قرى الساحل الذين كانوا يدينون ببغض البايات وينتهزون الفرص للثورة عليهم.

وحل زروق وكتيبته صبيحة يوم الجمعة ثامن جمادى الاولى من سنة1281 بموقع (استراتيجي) من القلعة يمكنه من تدميرها اذا والى عليها اطلاق النيران من المدافع. والتفت الثوار الى حلفائهم الذين كانوا يملؤون

---

(1) القلعة الصغرى قرية آهلة بالسكان جميلة الموقع على مقربة من سوسة

الفضاء فلم يجدوا مناصرا ولا مؤيدا وفر الانصار غير لاوين على شيء لان وزير الحرب أشاع بينهم أنه بعث كتيبة من جيشه لمنازلة مساكن والقضاء عليها فهبوا للدفاع عن بلادهم تحت قيادة الدهماني البوجي.

وأخذت المدافع تصلي القلعة بنيرانها والثوار يتسللون لواذا وضاقت عليهم الارض بما رحبت وخرج سكان القلعة حفاة عراة نساء ورجالا كهولا وشبانا كأنما يساقون للمحشر للقصاص وعثر على الشاعر الاديب أحمد الوني مختفيا فأتى به يرسف في الاغلال مع بقية الثائرين. واهتبل بعض الخونة الفرصة فهاجم الشاعر الوني مظهرا الشماتة به كما يفعل الانذال في مثل هذه المواقف فانهال عليه الوني شتما وهجوا وتعييرا واتسعت دائرة المشاجرة واحتدمت نيران المعركة وسرى الخبر الى الوزير أحمد زروق فاتي له بالثائر مصفدا في الاغلال فبادهه بقوله : اتمردا وأنت في السلاسل والاغلال فقال الوني عفوا ياحضرة الوزير ان هذا اللئيم احرجني واستثار غضبي ومن اغضب ولم يغضب فهو حمار والباي ينزل نفسه منا منزلة الاب ونحن عققناه والانسان يعق أبـاه ثـم يتوب أما هذا اللئيم فاي فائدة يرجوها من وراء سعايته ونبزه فاستشاط زروق غضبا وازداد عتوا وأخذ يوبخ الوني الذي أيقن بالهلاك والتفت الشاعر الشعبي فلم ير حوله شفيعا ولا نصيرا ولم يشاهد على مقربة منه الا أكوام الثياب التي نهبت واغتصبت من أربابها وحلي النساء المسلوب يتأبطه جنود زواوة فتنفس تنفس القيظ وكاد يتميز من الغيظ وألقى[9] بنظرة على القلعة فلم ير الا أطلالا ورسوما نال منها البلى فقال بديهة :

قلت لهم زروق يفـدي النقمـــه   يخلى نسـاكـم رابط بِحبْـَـال°
يخلـي البيـوت والمصابح ظلمــــه   يخـــلي الاطفــال والنسا همـال

وتنمر زروق وشمخ بأنفه في آن واحد وصاح صيحته الجبارة المعروفة.عنه قائلا للشاعر أتحرض علينا أيها الاعور..؟ وعلم الشاعر الوني أنه وقف على شفير الهلاك فتدارك الموقف في سرعة خارقة قائلا مهلا يا سيدي الوزير واسمع ما أقول :

الدنيـا بـلا حكـام سوده ظلمــــه   ما ريت قمـره مشابهـــه لهـــلال

واسترسل في قصيد رائع بليغ وصل به الى أعماق نفس ذلك الجبار الذي أمر في الحال بفك قيوده واطلاق سبيله... بعد أن غرّمه وأخرجه مما ملكت يداه :

وعاش هذا الشاعر الذي ملأ الدنيا بنظم القوافي الى يوم الاحتلال الفرنسي ووصف الكارثة بما لا مزيد عليه ولو جمعت أشعاره ودونت لكانت وحدها كافية لتصوير فظاعة ذلك الاحتلال وسوء أثره في هذه البلاد وهو القائل من قصيد طويل جدا يبكي فيه تونس ويتألم ويدون الأحداث :

اش كـــون يظن تـــونس بعزهـــا   وعملها وقدرها بين الــدول يطيـــح

الفرنسيس يملك ابراجها وقشلهـــا   لا بـــارود شعشـــع لاسند صحيـــح

وهكذا كان أحمد الوني الشاعر الشعبي يتحلى بحلى الشعراء المجيدين من فيض الخاطر وتدفق البديهة وقوة العارضة وذكاء الفؤاد ولسان حاله يقول :

وضــاقت خطة فخلصت منهـــــا   خلوص الخمــر من نسج الفـــدام

يتخلص وينتقم من الظلمة بروائعه الخالدات انتقام يزيد بن المفرغ من عبيد الله بن زياد، كان هذا الشاعر الشعبي الذي تلاشى معظم ما نظمه من خرائد يعالج سائر ضروب الشعر باجادة وتفوق يتغزل فيرق رقة ابن الجهم برصافة بغداد ويرسل المثل فيجاري حكيم الشعراء أبا الطيب المتنبي وهو القائل من قصيد طويل :

مـايجـي من البلـــوط تمـــر كسبـه   وما يجـي من صوف الكلاب لبود

ولايجـي من أولاد الضبوعة ذيبَـــه   ولايجـي من أولاد القطط صيـــود

ولايجـي من أولاد الباف عقبَّـــــة   ولا يجـي من أولاد البوم شهـود

الزفزوف ما همتـــو عـــار ولاسبـــه   يــولي صيد في خنقتو نَـمــــرود

وينصح حسب وعيه ونظريته في الحياة وعقيدته في فهم الوجود والمجتمع فيقول من قصيد :

لاتعجبـك نـفسـك ولا تـفـضلـهـــــا

أخــط التعــجـــب راه مـــوش مليـــح...

اصـــــــوات واغـــــــان

للشاعر الالماني راينر ماريا ريلكه R. M. RILKE

تعريب : ابو العيد دودو

تصـــــديـــر

مـا اهون الصمت على الاثـريـاء والسعـداء،
إذ لا أحد يـود معـرفـة مـاهم !
اما الاشقيـاء فعليهم أن يظهروا،
ان يقولوا : انـا أعمى
او : أنـا بصـدد العمـى
او : وضعي سيء في الارض
او : هـا أنـا قـد ضُم بعضي الى بعض.
لعل هـذا لا يجدي نفعـا.

ان عليهم أن يتغنوا، وإلا فانهم
سيمرون بهـم كمـا يمـرون بـالجمـاد.

ثم تُسمع بعد اغـان لطيفـة !

مـا أغرب طبيعة البشـر، فهم
يفضلون الاستمـاع إلى الطـواشيـة
وأجواق الفتيـان !

فيقبـل الالـه ويمكث طـويـلا،
اذا ازعجه هـؤلاء المطهرون.

اغنيـــــة الشحـــاذ

انتقـل من بـاب الى آخر،

ممطـورا محـروقـا ؟
بغتـة أضع أذنـي اليمنـى
في يـدي اليمنـى،
فيبدو لي صـوتي
وكأنـي لـم أعـرفه أبـدا.

ثم لا أعـرف بعد يقينـا، من يصـرخ ،
أهو أنـا أم إنسـان مـا !
أنـا أصرخ من أجل تـرهة،
أمـا الشعـراء فيصـرخـون مـن أجـل أكثـر.

وأخيرا أغلـق وجهـي بعينـيّ،
وحين يستقـر بثقلـه فـي يـدي
يبدو كـالصمت تقريـبـا.
لكيلا يظنـوا الا مـوضع لي
أريح فيـه رأسي !

أغنيـــة الاعـمى

أنـا أعمى ، وأنتم في الخـارج، هذه لعنة،
هـذا تقـزز وتهـافـت،
شيء ثقيل يـوميـا.
أضع يـدي فوق ذراع امرأتي،
يـدي الغبـراء فـوق لـونها الاربد،
فتقودني عبر فـراغ في فـراغ.
وأنتم تهتزون وتزحفون وتَصَوّرون
ان رنينكـم غيـر رنيـن الحجـر،
ولـكنكم مخطئـون : أنـا وحـدي
أحيـا وأعـانـي وأضـجّ.

ففي أعماقي صراخ لا نهائي،
ولست أدري، أيصرخ فيّ
قلبي أم أمعائي.

أتعرفون الاغاني ؟ انكم لم
تغنوها بمثل هذه النبرة تماما.
فالالق الجديد يطلكم كل صباح
دفئا إلى سكناكم المشرعة.
ولكم شعور من محيا الى آخر،
وذاك ما يغري بالرفق والمغفرة.

أغنية السكير

لم يكن ذلك فيّ. كان يتردد عليّ.
فأردت القبض عليه. انما مسكته الخمرة.
(لم اعد اعرف ما كان ذاك).
ثم مسكت لي هذا وذاك،
الى أن اتكلت عليها بالمرة،
أنا المعتوه !
فصرت الآن لعبتها، وهي تنشرني
باحتقار حولها، لا تزال تفقدني
في هذه الحشرة، في الموت.
فاذا نالني، أنا البطاقة القذرة،
حك بي قرعته الغبراء،
ورماني في الوحل.

أغنية المنتحر

لحظة أخرى اذا !
أتقطعون بي الحبل دوما

من جديد !
قبل حين كنت على أهبة تامة
وكان نزر في الابد
في ضلوعي.

أتعرضون على هذه الملعقة،
ملعقة الحياة هذه !
لا، انني لم أعد أريد
دعوني استسلم.

أعلم أن الحياة لذيذة ناضجة
والدنيا قدر ملآن،
لكنها لا تنسل الى دمي،
بل تصعد الى رأسي فقط.

انها تغذو الآخرين وتسقمني أنا،
فادركوا انني استخف بها،
لانني تعوزني الحمية
الف سنة على الاقل.

أغنية الارملة

في البدء كانت الحياة لذيذة،
كانت تنعشني وتمنحني الدفء.
انى لي أن أعرف آنذاك،
انها تمنحه كل الشباب !
لم أكن أعرف ما كانت الحياة،
لكنها غدت فجأة سنة وسنة،
لم تعد شيقة، لم تعد جديدة ولم تعد رائعة،
كانت كأنها قد تفلقت في الوسط فلقتين.

لم يكن هذا ذنبه، ولا ذنبي ؛
وما كان لنا غير الصبر
لكن الموت لا صبر له.
لمحته مقبلا (ما أبشع اقباله)،
ورأيته كيف يأخذ ويأخذ :
لم يكن ذاك ملكي مطلقا

فما كان لي إذا، ملكي، خاصتي ؟
ألم يكن شقائي نفسه
اعارة لي من القدر ؟
انه لايسترجع الهناء فحسب،
بل يستعيد حتى العذاب والصراخ
ويبتاع الهلاك للعتيق.

وتبدّى القدر واقتنى، دونما ثمن،
كل تعابير وجهي وملامحه،
اقتنى حتى نوع سيري،
كان هذا نَفَاقا يوميا.
وما أن فرغت حتَّى تخلى عنِّي
وترك جرحي نازفا.

أغنية البليد

انهم لا يمنعونني، بل يتركونني أذهب.
ويقولون لن يحدث شيء.
ما أطيب
لن يحدث شيء. والكل يدنو ويدور
باستمرار حول الروح القدس،
حول الروح الفلاني (أنت تعرف) –،

مـا أطيـب.
لا، لا ينبغـي أن يُظـن أن في
ذلـك خطـرا مـا.
يقينـا، هـذا هـو الـدم.
الـدم أصعـب شـيء. الدم ثقيـل.
أحيـانـا أظـن اني لـم أعـد أستطيـع .
(مـا أطيـب.)

يـا لهـا من كـرة جميلـة ؛
حمـراء مستديـرة ككـل مـكـان :
كـان جميـلا أن تخلقـوهـا.
فهـل تـراهـا تـأتي اذا نـوديـت ؟!
مـا أغـرب مجـرى هـذا كلـه،
كـم يتـزاحم ويتلاطـم ويتنـافـر :
لطيف، شـيء مجهـول تقـريبـا.
مـا أطيـب.

اغنيـــة اليتيـــم

لسـت أحـدا، ولـن أكـونه أيضـا.
فـأنـا الآن أصغـر مـن أن أكـون ؛
وكـذا أكـون فيما بعـد أيضـا.

ارحمـونـي
أيهـا الآبـاء والامهـات !

حقـا لا جـدوى مـن العنـاية بـي :
انـي سـأُجَـزُّ.
فـلا أحـد يـريـدنـي : اليـوم لازال بـاكـرا
وغـدا يكـون قـد فـات الاوان.

ليس لي غير هذا الثوب
سينحل ويشحب،
لكنه سيدوم دهرا
ولربما بين يدى الله أيضا.

ليس لي سوى هذا الشعر اليسير
(لم يتغير أبدا).
كان مرة أجمل شعر.

اليوم لم يعد شيئا محبوبا.

أغنية القزم

لعل روحي سوية خيرة؛
ولكن قلبي، دمي الخفي،
كل ما يؤلمني،
لايطيق حملها باستقامة
ليس لها حديقة، ولا مضجع،
يشدها الى هيكلي الحاد
رفيف رهيب مفزع.

يد اى لن تكونا شيئا بعد.
فكأنهما قد اعوجتا : انظر هنا :

انهما تثبان في تصلب، مبتلتين ثقيلتين،
كضفادع صغيرة بعد انقطاع المطر.
كل ما في كياني
بال عتيق مهترىء؛
فلم يتردد الاله في دفن هذا
العفن كله !

أغاضب هو على وجهي
ذي الفم العبوس ؟
طالما أوشك النور والسنى
أن يعمّا جوانب القاع ؛
لو لم يشتد التصاق الكلاب
الكبيرة بـه.
ولا هذا للكلاب !

أغنيـــة المجـــذوم

انظر ! انا واحد هجره الكل.
فلا أحد في المدينة يعرف
ان الجذام قد اعتراني،
رغم اني ادق صنجي،
أعزف بقطتي الحزينة،
في آذان كل الذين
يمرون عن كثب !
اما الذين يسمعونه متخشّعا، فانهم
لايلتفتون الي قطعاء، وما يجري
هنا لا يودون معرفته.

ابعاد انغام صنجي تحدّد لي
سكناي ؛ ام تراك ترفع أنت
صوت صنجي عاليا، بحيث لا يجرؤ
على الدنو من بعدي، من
يتجنب الآن قربي !
هكذا استطيع السير طويلا،
من غير ان اكتشف فتاة.
أو امرأة، رجلا أو طفلا.

لا أود أن افزع الحيوانات !

ترجمة : ابو العيد دودو

محمود السيالة

بقلم : محمد محفوظ

هذا رجل من اهل العلم مغمور لم اجد من ترجم له — فيما وصل اليه علمي - عاش في القرن الثالث عشر هجري ، لم اهتد الى معرفة ميلاده ووفاته ، وغالب معلوماتي عنه استخلصتها من رسائله ومؤلفاته التي هي مسودات لم تبيض يكثر فيها التشطيب والاخراج الى حد ان قراءتها تحتاج الى صبر وعناء يتعبان الناظر ، ويكدان الخاطر .

وهذه خلاصة ترجمته : هو محمود بن محمد ابن الحاج محمد بن محمد السيالة ، احد عدول تونس واعمالها ، ومن علماء صفاقس وحكمائها الشاذلي القادري ، هكذا عرف بنفسه في بعض رسائله .

ولا نعلم من شيوخه الذين تلقى عنهم سوى محمود مقديش ابن المؤرخ محمود بن سعيد مقديش حينما كان مدرسا بصفاقس قبل ان ينتقل الى الحاضرة ويحترف التجارة ، ويتصل برجال الدولة حينذاك (1) ، وقد اخذ عنه الرياضيات والمنطق وعلم الكلام .

هذا غاية ما استطعت ان اجده عن نشاته العلمية الاولى ، ويستروح من رسالة له يخاطب بها القاضي المالكي بالحاضرة تشكى في اثناءها من بعض خصومه انه تلقى العلم عن شيوخ جامع الزيتونة بتونس قال فيها :

ثم بلغني انه يبحث عن اصلي وعلمي ، ويفحص عن فرعي وفهمي ، فاخبروه باصلي ، وعرفوه بنسلي ، وقولوا له : قد انتشا (2) اصله ندر الجوهر وحلي بالياقوت والكوثر ، ومعارفه في العلوم لا تخفى ، ونظامه ونثره لايجفى

---

(1) كان من خواص اصحاب الوزير ابى المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يقوم لتلقيه على عادته مع العلماء، ودرس قليلا بصفاقس، ثم اقبل على دنياه ومتاجره ثم تقدم وكيلا على عشر الزيت وشرائه للدولة ، ونالته بسبب ذلك محنة على يد الوزير محمد شاكير صاحب الطابع ، ففنى المال وبقيت الاعمال ، وتوفى بجدة سنة 1251 (تاريخ ابن ابى الضياف) .

(2) كذا بالاصل ، والصواب : نشأ اصله

قد روى روايات العطر والزبد ، ولـه اجازات في العلوم من الاكابر بالسند . »
واكابر العلماء موجودون بتونس اذ ذاك .

وبعد استكمال معلوماته انتصب عدلا موثقا بصفاقس ، لكن دسائس القاضي واحد زملائه العدول اضطرته للانتقال الى الحاضرة مباشرا نفس الخطة ، قال في خطبة رسالته « المنافع الحاضرة ، في النوازل الحادرة » « ... وقد هتكني بـالتهمـة قاض جهول ، وافترسني بالحيلة عدل ذهول ، اذ هو عن تعديل العـدالة مكبول وعن معرفة الحقائق مفصول ، فارتحلت منهما الى مدينة تونس الخضراء لنحتمي بمن يفرج كربتي والقصرا (3) ، فصـرت فيهـا كـانني طيـر بلا وكر ، وعابر بلا مقر ...... »

ثم رجع في شيخوخته الى صفاقس في سنة 1263 هـ كما يستفاد من رسالة خاطب بها قـاضي الحنفية بالحاضرة الشيخ مصطفى بيرم ، واخرى خاطب بهـا صديقه الوفي الشيخ محمـد ذياب الصفاقسي من عـدول العـاصمة ، وبعد هـذا التاريخ تغم علينا انباؤه وتخفى احواله .

وفي كثير من رسائله يتشكى من حساده وخصومه واضداده ، ويتسخط الزمان واهله ، ويتالم من مضض الفقر وقلة ذات اليد .

مؤلفاتــه :

في الطب أ) له شرح وتهذيب لتذكرة داود الانطاكـي سمـاه « الجـوهر النوراني ، في الدواء الجسماني والروحاني » في 3 اجزاء كما ذكره في المقدمة رتبه حسب ترتيب التذكرة ، واستدرك مافات داود ، وما وقع له من الاوهـام واضاف اسماء مفردات ومعـاجين وادويـة من مستوردات المدنيـة الحديثة غير معروفة في عصر الانطاكـي كـالتاي والشكلاطة الخ ... « ... وقررت فيـه بعـض ادوية ومفردات حادثة، وقد كنت شديد الحرص على المسائل الانيقة، والمفردات

(3) هذا تعبير عامي اضطره اليه اصطياد السجع وضعف المحصول اللغوي ، وهو كثيرا ما يسطو على الالفاظ العامية لتلفيق الاسجاع ، كما يعلم من الوقوف على رسائله .

والمركبات الحادثة والعتيقة، حتى صارت عندي في مسودات عزيزة، وكراريس كثيرة فطرزتها في هذا الشرح السعيد ... »

وهو في الغالب عند ذكره للمفرد يبين اسمه بالتركية والبربرية وباللهجة التونسية والمغربية، ويعين مكان وجوده بتونس، وينقل – عندما يستدرك على الاصل – عن الزهراوي وابن جلجل وابن سيد الناس ومجربات ابن الحشا (وهذا الاخير اعتمده في الاسماء بالبربرية ولهجة المغرب الاقصى) والصقلي – وفي تشخيص الامراض ودوائها ينقل احيانا ما استقر الرأي عليه عند اطباء الحاضرة وصفاقس.

نسق هذا التاليف وجمعه عند استقراره بمسقط راسه في شيخوخته على ما يفهم من رسالة كاتب بها صديقه محمد ذياب سنة 1263 هـ.

والموجود من هذا التاليف عدة اوراق متفرقة.

ب) رسالة الفها برسم قاضي المالكية بالحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار (4) سماها «المنافع الحاضرة، في النوازل الحادرة» تلبية لرغبة صديقه احد المتصلين بالقاضي الشيخ محمد الخضار (5)، جاء في خطبتها «... الى ان جمعني الله بجمع من احسن الاخوان، ممن علا قدرهم والشان، وناظرت فيهم شيخا لبيبا، وناقلا مصيبا، ممن طاب خيمه، وصفا نديمه، ذو فكرة وفطانة، ونباهة وديانة، الا وهو العالم العلامة، الفقيه النهامة، الزكي المحقق، اللبيب المدقق، العدل الاعدل، المتفنن الافضل، المتوكل على فضل ربه الستار، ابو عبد الله الشيخ سيدي محمد الخضار ...... فوجدته محققا لنوازل الطب، ومدركا لاحوال النبض والعصب، ولازلت ابحث معه بالتدقيق، كبحث المحب مع الصديق، الى ان اخبرني حفظه الله ...... بان الشيخ الهمام، العالم المقدام، ابا

(4) توفي سنة 1254 (راجع ترجمته في تاريخ ابن ابي الضياف، وشجرة النور الزكية للشيخ مخلوف ص 385 – 386)

(5) كان الشيخ محمد البحري يستعين بعلمه وذكائه في معاناة القضايا، ثم بعد الشيخ محمد بن سلامة، وتولى خطة قضاء المحلة ثم الافتاء بالعاصمة، وله شعر رقيق، ت 1267 هـ (عنوان الاريب 104/2 – 107، شجرة النور ص 389، تاريخ ابن ابي الضياف).

عبد الله الشيخ سيدي محمد البحري بن عبد الستار قاضي قضاة المالكية، بالديار الافريقية ...... بان هذا الشيخ الهمام المتفنن بالاحكام ، قد وقعت له نوازل باردة من هذه الارياح الفاسدة ، وهو يتالم من اسقامها ، ويتوجع من حدوث آلامها ففهمت من اشاراته القويمة ، على معرفة ادوية سليمة ، بما يقوم بهذا الشيخ وحظه ، وبما يوافق لذهاب مرضه ، اذ لم يف احد بدواء جليل ، ولا من يشفي بمعرفته الغليل ، ولامن يحقق هذا المرض ودليله ، ولا من يقوم بادوية تنفع عليله ...... »

وقسمها الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة « فالمقدمة تحتوي على تقسيم هذ المرض واحواله ، وعلى بيان انتشائه واسبابه . والفصل الاول يحتوي على معالجة من ابتلي بالنزول ، وبالادوية التي يذهب معها كل مرض ويزول ...... والفصل الثاني في علاج امراضها الحارة ...... والفصل الثالث في علاج امراضها الباردة ......

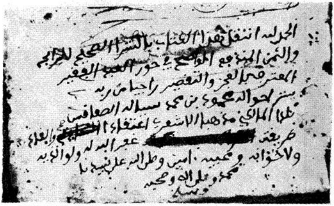
والخاتمة تحتوي على مسهلات عجيبة ، ومركبات قديمة وجديدة » والرسالة بها نقص من آخرها ، والموجود منها نحو 10 أوراق من القطع الربعي ـ

ج) في الفلك — له رسالة صغيرة في احكام القبلة في نحو 8 ورقات الفها في اواخر صفر 1240 هـ

د) شرح لتاليف شيخه محمود مقديش ، كتبه سنة 1249 هـ عرف تاليف شيخه بقوله : « فلما طالعت هذا الكتاب ، ورايت فيه العجب ، العجاب ، جعلت الاعتناء به سهم فهمي ، والعكوف عليه حزم عرفي ؟ (كذا) ووجدته حاصرا لاكثر علوم الاولين ، وضابطا لفوائد تحقيق المتاخرين ، قد احتوى على جملة كافية واسرار وافية ، مالم تحوه الكتب الكبار ، مع صغر الجرم وحسن الاختصار ، اذ هو جامع لزبد الجوامع من المؤلفات ...... » والباقي من الكتاب ورقة فقط ـ

الرسائل

ر) رسالة في الدعاء وآدابه في ست اوراق من القطع الكبير لم يتمها .



انموذج من خط محمود السيالة من كتاب « الكامل فى الصناعة الطبية »
تأليف : علي بن العباس المجوسي

س) رسالة سماها « المنارة الذهبية ، في الآداب العقلية » كاتب بها حمدة الشباب من اعيان رجال الدولة المقربين (6) .

والكاتب يتشكى في هذه الرسالة من بعض خصومه وحساده ، ويطلب من المخاطب حمايته من كيدهم ودسائسهم .

الرسالة بها 4 اوراق من القطع الكبير ، وهي غير كاملة ـ

ص) رسالة خاطب بها قاضي الحنفية بالحاضرة الشيخ مصطفى بيرم في طلب معارضة جنان موقوف بغيره ـ

ط) رسالة خاطب بها قاضي المالكية بالحاضرة (على ما يظهر اذ اول الرسالة مفقود لما عزم على احضار الشهود لاختيار من يصلح منهم لمباشرة الخطة ، ومن لا يصلح تشكى فيها من بعض خصومه ، واوضح كثيرا من احوال الشهود واخلاقهم في ذلك العصر

الباقي منها 8 اوراق من القطع الربعي ـ

ك) وله رسائل اخوانية كاتب بها صديقه الشيخ محمد ذياب .

محمد محفوظ

(6) حمدة بن علي الشباب من ابناء الحاضرة تعلق بخدمة احمد باى فى دولة عمه مصطفى باى الى ان دالت له الدولة فرفع منزلته وقربه ، واولاه الخطط النبيهة كالقمرق وغيره ، وكان يحبه حتى انه يبيت عنده بسرايته • توفى سنة 1263 (راجع تاريخ ابن ابى الضياف)

الهـــــــارب

(3)

مسرحية بقلم : الطاهر وطـار

المشهـــــد الخـــامس (*)

حـــامـد ـ صفيـــة ـ الخـــادم

الخادم ـ (تضع طبق الشاى على المنضدة) الم اقل لك يا صفية انك لن تندمى على علاقتك به ، انه طيب

صفية ـ (لحامد) الاولى ان نصارحها ٠

حـامد ـ اننا نعرف بعضنا قبـل الآن ، ونحب بعضنا سلفـا اليس كذلـك يا صفية ؟

الخادم ـ (متعجبة) وتحبان بعضكما ؟ اعن طريق الاثير

صفية ـ (ضاحكة) نعم

حـامد ـ انها خطيبتى ،

الخادم ـ لكن ؟

حـامد ـ (يتأمل صفية) لكن ، تدحرجنا نحو الخصام ثم نحو الوفاق

صفية ـ (مبتسمة) لنشرب نخب الوفاق ٠

الخادم ـ اذن انتما متفقان ؟

حـامد ـ لنشرب نخب التدحرج ، التزحلق ، لنشرب

(يتناولون كاسا كاسا)

صفية ـ (تدنو من حامد وتقبله) شربنا

حـامد ـ الخادم (فى صوت واحد) شربنا

(يشربون ثم ينهضون)

المنظـر الثـــانى

« زاوية من المحكمة يضفى خلوهـا من الناس اكثر مما توحيه المحكمة عادة من الرهبة والوحوش ، الزمان يتدحرج نحو منتصف النهار »

المشهـــــد الاول

حـــامـد ـ انـــا ـ المحـامى

المحامى ـ (متأسفا) لو اتبعت ما رسمته لك وقلت كما اوصيتك لكسبنا القضية لقد انسقت مع عواطفك كما لا ينبغى، مما جعلنى فى مرافعتى مضطربا متحرجا ، متناقضا تناقض تصرفاتك واقوالك

(برهة صمت)

ايا ما كان الامر فتستطيع ان تستأنف الحكم واملى وطيد فى اننا سنربح القضية ، لكن على شرط ان لا تورط نفسك وبالتالى تورطنى معك ٠

(*) راجع : الفكر ـ السنة 8 ـ العددين 1 و 2

حـامد ـ (مطاطىء الرأس) هل انسقت مع عواطفى اتعتقد ذلك يا استاذ ؟
المحامى ـ اكثر مما ينبغى ، وكنت تتناقض بشكل فادح مخجل
انـــا ـ لولاى يا حامد لكنت اضحوكة فى المحكمة .
حـامد ـ (خجلا) كيف ذلك ؟
المحامى ـ تركتهم كلهم مشدوهين ..
انـــا ـ كالضفدعة الغبية .
حـامد ـ (مستفيقـا) مـن شدة الغبطة كنت كانمـا اغمى على ، واشعر اننى اتزحلق بسرعة جنونية ، الا اننى فى بعض الاحيان اضطر للخضوع للمراقبة ، فاقف عن التزحلق وتقف الغبطة ايضا ، كنت اسرد القصة كما لو اننى لم اكن بطلها ، وكما تعمقت فيها شعرت بالغبطة اكثر ، اليس ذلك جميلا يا حضرة المحامى ؟ الا ترى اننى تصرفت كما ينبغى .
المحامى ـ (فى لامبالاة) اسأل نفسك .
حـامد ـ ان نفسى بين التحبيذ ، والسخط ، احبذ موقفى عند مـا اجـد اننى اغتنمت لحظات اغتباط ، واسخط حينما اتصور ان القضية خسرتها
(فترة صمت ثقيل)
المحامى ـ ينبغى ان نستأنف الحكم ، واذا اتعظت بدرس اليوم فالقضية لا جدال فى اننا سنكسبها .
انـــا ـ بدون ريب .
حـامد ـ اعد على الحكم ، بماذا حكموا على ؟ اننى لا اتذكر بالضبط ، الواقع اننى لم اكن اهتم بما يقوله الآخرون انما فقط بما اقوله ،
المحامى ـ (متعجبا) لقد حكمت على نفسك بان تتزوجها ،
حـامد ـ (متعجبا) ايضا هكذا ؟
انـــا ـ (ناقما) اى نعم ، وكنت تضحك وتبكى اثناء ذلك ،
المحامى ـ اما هى فالعنصر الهام فى كلامها ، اعترافها بانها تخونك ، وعلى ذلك سأركز مرافعتى القادمة ،
حـامد ـ (مستبشرا) اكانت متاثرة وهى تعترف ؟
المحامى ـ كانت مثلك تماما ، تضحك ثم تبكى ، تقول انها تحبك وانها منحتك كل شىء لانها تحبك ، ثم تضيف الى ذلك انها تخونك ، وانها من اجل ذلك لا ينبغى ان تراك ابدا فى المستقبل كلفها ذلك ما كلفها ،
(برهة صمت)
فى الواقع ، امركما غريب جدا ، فكلاكما يتكلم كأنما الكلام صادر عن عقله وفى نفس الوقت كانما هو صادر عن عاطفته .
حـامد ـ اتعتقد انها كانت بدورها تتزحلق ؟ لا شك انها كانت تشعر بالغبطة ،
انـــا ـ ايا ما كان الامر فهى التى كسبت القضية
المحامى ـ اعتقد انه لولا ابواها لحكمت المحكمة بعدم سماع الدعوى ، بالرغم من اعترافكما (يمسك بكتف حامد) حسنا ماذا تنوى ان تفعله الآن

حامد ـ (مطرقا) اننى فى حاجة الى فترة اتحدث فيها الى نفسى ، ان هناك كثيرا من المشاكل تتحتم تصفيتها ·· سامر على مكتبك عما قريب
(يفرقع اصابعه)

انـا ـ ان خط الرجعة فى الواقع ما زال متوفرا ·

المحامى ـ الى اللقاء

حامد ـ ارجو ان تفكر معى باخلاص ، افعل ما تعتقد انه ينتهى الى غرض نبيل جـدى

(ينصرف المحامى ، بينما تقبل صفية)

المشهد الثانى

حامد ـ انا ـ صفية

صفية ـ (فاتحة ذراعيها) حامد ؟

حامد ـ (ماسكا رأسه بيديه)الا تزالين هنا ؟ ماذا كنت تفعلين ؟

صفية ـ (تقف امامه) كنت فى انتظارك ·

حامد ـ (يدخل يديه الى جيوبه مستندا على الجدار) لماذا ؟

صفية ـ اخصمان نحن ام حبيبان ؟
(لحظة صمت)

انـا ـ خصمان يا حامد ·

حامد ـ لست ادرى ما رأيك انت ؟

صفية ـ كل ما ادريه اننى تارة اعتبرك حبيبا رقدت الى جنبه سبعة اشهر كاملة ، وزوجا منتظرا ، ساشاركه فى حياته ويشاركنى فى حياتى ، وتارة اعتبرك خصما ينبغى ان اهزمه ، واتخلص منه فى نفس الوقت

حامد ـ (يبتعد عن الجدار) صفية ؟

صفية ـ (تدنو منه) حامد ؟

انـا ـ لا تتورط معها مرة اخرى ···

حامد ـ (متوسلا) اجادة انت فى سلوكك واقوالك ؟

صفية ـ (ضاحكة) كلا ، كلا ، لست جادة ، بل اننى لا ادرى ، ربما اكون جادة وربما اكون هازلة بيد ان ما يبدو انه لا يقبل النقاش هو ان ابوى جادان ·· انهما لا يريدان ان اعود اليهما منذ اليوم ، وان لا اعيش الا معك انت ·· لذا كنت فى انتظارك ، لقد قالا لى اذهبى الى زوجك ·

حامد ـ (مستفسرا) اصحيح اننى زوجك ؟

انــا ـ (جادا) انها لا تستحق الرحمة ٠٠ اطردها بدورك ٠

صفية ـ انك تحبنى ٠٠

حـامد ـ (يقاطعها) واذا لم اعد احبك

صفية ـ الزواج ليس كالحب ، تستطيع ان تلتزم بانك زوجى ، واستطيع ان التزم باننى زوجتك ٠٠ الم نتفق امام المحكمة على ذلك ٠٠؟٠

حـامد ـ اكنا جادين امام المحكمة ؟٠

صفية ـ كان بوسعى ان اقتصر على ذكر ما اوصانى به ابى وامى والمحـامى ،

لكن كنت وانا اسرد التفاصيل كانما اعيش بالفعل، ما اقول، اعنى ما جرى فى السبعة اشهر، امارايت اننى كنت اضحك وابكى كنت اغتبط الى اقصى حدود الغبطة ، ثم لا البث ان اشعر كانمـا الغـول ينهش فى صدرى ، فأتالم واتالم ، خاصة حينما اتذكر ان ابوى والناس من حولى كانت مشاعرى تماما كالتي تعتريني حينما اكون اخونك، يا للسخرية اننى فتاة ضائعة، لا اميز بين الجد والهزل ،٠٠ اريد ان ابكى يا زوجى العزيز ، (تنسكب الدموع من عينيها)

حـامد ـ كذلك كان شأنى ، لقد جعلنا انفسنا مسخرة امام المحكمـة ، لقـد تزحلقت بشدة نحو الغبطة وايا ما كانت النتيجة ، فاعتقـد اننـا لن نتأسف عنها فيما بعد ٠ (يضع يديه على كتفيها)

انك تبكين ٠٠ عجبا ، ما الذى يبكيك ، ؟ فكل ما جرى نتيجة حتمية لتزحلقنا الحتمى ، اما الآتى فقد لا يخلو من الغبطة ايضا ، اننى الى حد الآن اشعر بالغبطة (برهة صمت) صفية زوجتى العزيزة ، ما الذى يبكيك ؟

صفية ـ (تبتسم) اتدعونى زوجتك العزيزة ؟ اهكذا تعتبرنى حقا ؟

حـامد ـ (يمسح دموعها بمنديله) ولم لا ؟لقد انتهينا الى هذه النتيجة ٠

صفية ـ (مذعورة) الا تخشى ان اخونك ؟

حـامد ـ ما معنى الخيانة ؟ اليست تزحلقا نحو الغبطة ، مثل كل تصرفاتنا ؟

اعتقد ان الاستمرار فى الحياة من اساسه خيانة ، أوف ٠٠ هذا موضوع آخر ، لنعد الآن قبل كل شىء الى المنزل ، اننى اشعر بالجـوع ٠٠ هيا يا زوجتى العزيزة ، كفى عن البكاء (يخاطب نفسه)
انا مابالك سكتت ؟ امقر انت هذا الاتجاه ؟ انامرك عجيب ايهاالمراقب الفضولى ٠٠

انــا ــ انك يا حامد ترتكب اخف الضررين ، ابدا حياتك من جديد ،

صفية ــ لن اعود معك الآن ، سالتحق بوالدى لاجلب حقائبى وبقية ثيابى

حــامد ــ (مبتسما) ربما لتخونينى ؟

صفية ــ (تتناول يده فتلثمها) اقسم اننى لن اخونك فى المستقبل ، ولو اقتضى ذلك ان اخون نفسى ، اتصدقنى يا زوجى العزيز ؟ اننى جادة ... حامد هيا اذهب معى ، لتعيننى على حمل الحقائب انك اصبحت زوجى وينبغى ان تتعب من اجلى .. خاصة وان ابنك يستفزنى كما يستفزك الجوع .. اتذهب معى ؟

حــامد ــ (يقهقه) يا للحياة ؟

صفية ــ (تقهقه بدورها) لمَاذا تضحك ؟

حــامد ــ (يواصل الضحك) تصورت اننا بطلا اسطورة آدم وحواء .. اننى لست غبيا مثل آدم .. حسننا انت لا تفهمين معنى هذا الكلام ، ربما شرحته لك فيما بعد، الآن فأن امعائى تنطلق منها صيحات الاستنجاد، اتريد حقا ان ارافقك ؟

صفية ــ كلا، فمن يدرى ما يكون موقفنا فى حين يراك، الاولى ان نحتاط واذهب وحــــدى .

حــامد ــ (يطيل عنقه ليقبلها) سأنتظرك فى المنزل لا تتأخرى ،

صفية ــ (تطيل عنقها بدورها) كما تشاء يا زوجى العزيز ،

(يتعانقان ثم يخرجان)

المنظــر الثــالــث

(بيت حــامد نفس الاثــاث)

المشهــــــد الاول

حامد يذهب ويجىء فى الغرفة ، بينما انا يقابله فى المرآة من حين لآخر

حــامد ــ (قلقا) تجربة دامت سبعة اشهر، انها فترة كافية بالنسبة اليك يا انا لقد اغريتنى فى المرات السابقة بالاستمرار فى الحياة .. ودحرجتنى نحو البقاء ، فتزحلقت طيلة هذه الفترة ، لكن بقطع النظر عما ذكرته من محاسن الحياة ومن وعود براقة خلابة ، بقطع النظر عما داربينى وبينك آنذاك من حوار ، اريد ان اسألك الآن، ماذا جنيت فى هذه الفترة ،ما الذى فعلته يستحق الذكر ؟ ما هو الغرض النبيل الذى اكتشفته ؟ فى وسعى ان اتولى الاجابــة عوضا عنك ، بانــه لا شىء ابدا لا شىء على

الاطلاق ، سوى الالم ، التعب ، مع شيء من الغبطة في بعض الاحيان ، اتفهم ما اعنيه يا انا ؟
(فترة صمت)

انـــا ـ (هازلا) تعنى الانتحار ما فى ذلك شك ، وبالاحرى تعنى الانفجار ايتها الضفدعـة الغبية ٠٠

حـامد ـ (يقاطعه) لانك لم تجد ما تقنعني تحاول ان تسخر ، ؟؟ هها ٠٠ على فرض اننى لم انتحر لم انفجر ، فماذا سأفعل ؟ اعمل لاقتات ، ثم اقتات لاعمل ، ثـم انـام مـع زوجـتى ، ثـم مـاذا ؟ مـاذا ؟ اغتبط ، ولكـن لكى يتـم ذلـك يجب ان اتـزحلـق ، والحيـاة تـأبى ذلك اذن ؟ مع ان الغبطة ليست وحدها ما نجنيه هناك التعب ، الالم ، هناك كثير مما لا يمكن ابدا ان تتكامل معه هذه الغبطة ٠٠٠ باختصار ، لن تغرينى مرة اخرى ، يا انا ولن اتزحلق فى المستقبل الا فى اتجاه العدم هكذا ، نعم هكذا ، وكفانى حياة ، كفانى بقاء ، كفانى تزحلقا ٠٠٠
(يلتفت نحو المرآة)

انـــا ـ وزوجتك صفية ؟ انها تحبك ، وانت بـدورك تحبهـا ، والجنين الذى تحمله المسكينة فى بطنها ٠٠ ابنك ، الا ترى ان مهمتك لم تنته بعد انه سهل جدا ان تبنى عشا عائليا تغمره السعادة ، والحبور ، والغبطة التى تتزحلق فى اتجاهها ، لقد كنت اعارض زواجك من صفية قبل ان يفوت الفوت ، اما الآن وقد تزحلقت كثيرا ، دون الاصغاء الى حتى انتهيت الى هذه النتيجة فرايى ان تتكيف مع الحياة وتنسجم معها ، (فترة صمت)

حـامد ـ (ساخرا) الضبط والربط ، وتنفيذ الاوامر ، الحياة العسكرية ، ذلك ما لا استطيعه يا انا ارانى عاجزا عن اتباعه ، اسمع يا انا ، ان انتحارى يبدو لك مأساة فى حين تعتقد انك عاجز عن منع وقوعها ، فنصيحتى لك ان يقتصر دورك على مشاهدتها فحسب ، دعنى افعل ما بدا لى ، انت لا تستطيـع ان تصدنى عن الانتحـار ، وتجربتى على البقـاء ، فلمـاذا تزعجنى ؟

(يذهب نحو الباب)

ما زوجتى ، صفية المسكينة ، فساعرض عليها الانتحار بدورها فان اقتنعت فحبذا ، والا فالامر يهمها وحدها ، ولو اننى اعتقد انها ستوافق على الانتحار ، لانها تكاد تكون نسخة منى ، انهـا مسكينـة بدورهـا تتزحلق نحو الاتجاه الذى يجذبها ، وهى تتعـذب الآن اشد واقسى عذابا من الجنين الذى تحمله

(يعود فى اتجاه المرآة)

انـــا ــ (جادا) الاولى ان تطرد عنك هذه الوساوس ٠

حــامد ــ لقد حكمت علي بالضفدعة التى تمتص الدخان دون ان تنفثه الى ان تنفجر ٠٠٠ اما ترى ان هذا صحيح ، ؟ وينطبق على كما ينطبق على البشرية جمعاء ، ؟ اننى لا انكر هذا الحكم انما اقول لك اننى امتصصت من الدخان ما فيه الكفاية ليجعلنى انفجر ، وسأنفجر ، بعد حين ان الانتحار فى نظرى يا انا ، اصبح مثل جرعة ماء ، اهون شىء ، واخف من اى ضرر فى الحياة ٠٠٠ مسألة لا تقبل النقاش ، وسواء اكنت مصيبا ام مخطئا ، فاننى اعتقد اننى غير مخطئى ٠٠

انـــا ــ (متخاذلا) اعرف ذلك ، لانك متوقف عن المسير فى الحياة ، تدور حول نفسك فقط ، لقد رفضتك الحياة ورفضتها ، مأساة وكارثة ، لقد فقدت حاسة الحياة والموت معا ، انك مسكين ٠٠ يا لك من مسكين

حــامد ــ (متشجعا) اذن ماذا تريد منى ، الا تخرس وتدعنى وشأنى ٠٠؟؟٠٠

(يختفى انا ، بينما تقدم صفية)

المشهـد الثـانى

حـامد ـ صفية

صفية ــ (داخلة) آه يا زوجى العزيز ، كم اتعبتنى ابنك ،

(تضع الحقيبتين)

ها قد جئت لامكث هنا ، بعد ان كنت اقضى خفية ، بعض الوقت فقط قربك ، اننى الآن ملك لك وانت ايضا ملك لى ، لقد جئتك مكرهة ، يا للسخرية ، بل انا مكرهان معا ، لاننا لم نمارس حق الاختيار ، الا ترى يا زوجى العزيز ان حياتنا المقبلة ستكون بلا طعم ، مثـل محـاكمتنا تماما ؟

(تضطرب فى وقفتها)

حامد امسكنى ، اننى اشعر بالدوار ، اننى اوشك ان اسقط

(يحتضنها ويجلسها)

حــامد ــ (جزعا) ما بك يا عزيزتى ؟

صفية ــ لا شىء ، لا شىء لا تكترث ، انه مجرد اعياء (تجهش باكية)

حامد ، حامد ، ادن منى يا حامد دفءك يتسرب الى جسمى ياحامد ٠

اننى فى حاجة الى الدفء

حـامد ـ (يحتضنها) صفية عزيزتى ، ما بك ؟

صفية ـ خائفة يا حامد .

حـامد ـ من اى شيء يا عزيزتى ؟

صفية ـ لست ادرى .. اشعر بالخوف فقط ، حامد ، الا تتصور وضعيتى ؟ اننى فتاة ضائعة ، ابتلعها الضياع (تلطم رأسها)
اطردنى ، ابواى العجوزان ، من بيتهما ، ولم يبق لى الا عشيقا كثيرا ما خنته ، ويأبى ان يعاقبنى ، ويقبل الزواج منى ، انك طيب يا حامد رغم ذلك . وهذا ما يؤذينى اننى لا استحقك ، (تواصل البكاء)
حامد ، اننى فى حاجة الى حنوك ، فلا تنتقم منى ، كلا ، كلا انتقم ، ينبغى ان ادفع الثمن ، ان لا تحتقرنى باحتقار خيانتى ، حامد ، لماذا ابيت الزواج منى قبل اليوم ؟ قبل ان يرفع ابى الشكوى الى المحكمة ؟ حامد ، الا تحبنى ؟ قلها بصراحة .. ان الفرصة سانحة لكى تنتقم منى .. قلها يا حامد .

حـامد ـ (متأثرا) الحقيقة اطلعت عليها اليوم فى المحكمة ، اننى احبك كما احب نفسى ، ولا اعير لخيانتك اى اهتمام ، ولا اشعر نحوها باية كراهية ، ان الخيانة فى نظرى شيء عادى لانها تزحلق نحو جاذبية الغبطة ، ما رأيك فى صانعى القنابل الذرية ومختزنيها ؟ ؟ ان المنطق السليم يفرض عليهم ان لا يفكروا حتى مجرد التفكير فى هذه الوسائل الجهنمية ، ولكن تزحلقهم نحو الغبطة ما جعلهم يقدمون على صنعها واختزانها ، رغم استنكارهم لها فى قرارة انفسهم ، اليسوا خونة ، يا عزيزتى ؟ ؟ انهم خونة ولا شك ، اتذكرين اننى قلت لك فى المحكمة ان البقاء فى الحياة من اساسه خيانة ؟ ومن يدرى فلعل الذى اوجدنا ،كان بدوره يتزحلق ؟
(فترة صمت)
صفية ، زوجتى العزيزة ، كفى عن البكاء ، ولا تخافى من امر ، او تخجلى من نفسك ، فاننى ضد الانتقام .. صفية ، اضحكى يا زوجتى العزيزة ، ارجو منك ذلك ، ابتسامة واحدة فقط ، (تكف صفية عن البكاء) لدى يا عزيزتى مشروع ساعرضه عليك بعد ان تهدأ اعصابك،

صفية ـ (تعانقه كالطفلة) انت ابى وامى ، يا حامد ، ونفسى ايضا .

حـامد ـ وزوجك المحترم ، لا تنسى هذه الصفة منذ اليوم (يضحك) هل اكلت شيئا ؟

صفية ـ لقد تناولت الغذاء فى دار ابى

حـامد ـ (ينهض) اراك فى حاجة الى فترة هدوء، استلقى ياعزيزتى فقد اجهدت نفسك كما لا ينبغى ، تكلمت كثيرا فى المحكمة ، وفكرت كثيرا فى امر والديك ، واكثر من كل ذلـك فى شأنى ٠٠ بالاضافـة الى الجنين الذى تحملينه ، كل تعبك هذا يا زوجتى عبث ، فابواك قضيبا سكة لا يمكنك ان تسيرى فوقهمـا ، وزوجك العزيـز يكن لك حبا عظيما ويكبر فيك تزحلقك ولا يعير للخيانة اى اهتمام٠٠بقيت نقطة واحدة كذلك ينبغى ان انبهك اليها ، كنت تقولين ان حياتنا ستكون بلا طعم مثل محاكمتنا صحيح كلامك هذا ، ولكن اى طعم فى الحياة بصفة عامة ، حياتنا وحياة الآخرين ؟ اننا اذا درسنا بدقة وتجرد كل المغريات التى تغرينا بالحياة نجد انوجودنا بلا طعم: عمل، اكل، نوم، تعب، الم، شىء من الغبطة، لماذا كل ذلك ؟ لست ادرى ، ولا انت تدرين ايضا ، ولا احد على الاطلاق
(فترة صمت)
ارانى يا زوجتى العزيزة اكثرت من الكلام الاجوف الذى لا يضيف الا توترا لاعصابك ، استريحى ، وسأعود بعد قليل ، لا تفكرى فى شىء اسمعى يا زوجتى العزيزة ، اهدئى واضحكى ، واثقة ان الانسان ما دام عاجزا عن التصرف حسب تعليمات مسبقة فيجب ان لا يهتم بما هو آت، ولا بما هو فيه، وانما بمبدا مهمته من الاساس،٠٠ اوف، ارانى كلما حاولت الابتعاد عما يوتر اعصابك ، اضفت اليه عناصر اخرى ٠٠ عزيزتى ، سأعود بعد حين ، نامى ان استطعت ، الى اللقاء
(يتجه نحو الباب)

صفية ـ (متنهدة) حامد ، حامد ٠٠

حـامد ـ (يعـود اليها) صفية ، الاولى ان تستريحى ، سأعـود بعد حـين ، لاجد اعصابـك هادئة فافـاتحك فى موضوع فكرت فيه كثيرا ٠٠ هل تريدين شيئا ؟

صفية ـ (تستلقى) لا تذهب يا حامد ٠

حـامد ـ (ينحنى فيقبلهـا ، بينما تمسك بـه هى) ماذا تريدين يا عزيزتى ؟ (يبتسم) اعتقد ان ذلك (٠٠٠) ليس مناسبا الآن ، اننى اعرف فيما تفكرين ، يجب ان تستريحى قبل كل شىء

صفية ـ (فى مرح الاطفال) اتتذكر المرة الاولى (٠٠؟٠٠)

حـامد ـ (يلين) فى الواقع اننا تزحلقنا بعنف نحو الغبطة ، اليس كذلك ايتها الزوجة الـ ٠٠ أأنهى الكلمة ؟
(يضحك ملء شدقيه)

صفية ـ (تطوقه) لقد هدات اعصابى ، انك بارع فى تهدئة الاعصاب ، يا حامد

حدثني الآن ٠٠ فيم تفكر ؟؟

حـامد ــ الاولى ان لا تسأليني فيم افكر ، لانه نادرا ما ننفذ او حتى نجسم ما نفكر فيه، قد افكر فى شىء وافعل ما يناقضه ، المسألة مسألة تزحلق غير انه يمكنني ان اقرر فعــل شىء يصادف ان يقره العقــل كمــا لا يصادف ان يقره ، والمهم هو انني قررته وقد يكون فى بعض الاحيان ذلك القرار استجابة لايحاءات تجاربنا ، وقد يكون فى بعض الاحيان مفروضا فرضا بشعور الغبطة او التألم ، وايا ما كان الامر فالمؤكد انني لا افكــر الآن فى شىء ، وانمــا لدى قــرار اتخذتــه منذ مدة ارى ان الوقت حان لتنفيذه ٠٠ انك تعرفين هذا القرار يا زوجتى

صفية ــ (جزعة) اتعنى ان الوقت حان لتنفيذه حقا

حـامد ــ كان صوت ينبعث من داخلى يغرينا بالبقاء تمكنت اخيرا من اخمــاده باقناعه بوجهة نظرى ٠

صفية ــ كيف ذلك ؟

حـامد ــ كان آخر ما قاله ، انني فقدت حاسة الحياة والموت معا ثم لم اعد اتلقى رغباته التى يقدمها فى شكل اوامر ، وعلى كل فان عاد الى التهريج فانني مستعد الى طمس صوته فى الاعماق بقوارير خمر صفية ما رأيك ؟؟ (يبحلق فيها)

صفية ــ انني مثلك فقدت حاسة الحياة ٠٠ الم تفهم انني كنت عرضت عليك ان (٠٠٠) لكي اتأكد من ان طعم الحياة زال نهائيا ٠٠ اسمع يا حامد ، امتأكد انت ؟

حـامد ــ مـم ؟

صفية ــ من ان الحياة لا تستحق ان نبقى فيها ؟

حـامد ــ (ملحا) اسالى نفسك عما فعلته فى الحياة منذ كنت ، ولماذا ، وكيف تم ؟ ثم اسألى نفسك عما تفعلينه فى هذه اللحظة ولماذا ، وكيف يتم ؟ وبعدها تساءلى هكذا : هل من غرض واضح نبيل يستحق ان اعمل لتحقيقه ؟ ماذا تحملت من الالام وماذا سأتحمل ؟ واعتقد انه مهما كان الجواب غير مفجع فانه لن يقنعنا بوجاهة البقــاء فى الحيــاة ، حسنــا قد ننخدع ، بمستقبل هنىء رضى ، تغمره السعادة ، وليس فيه سوى الغبطة ٠٠ ولكن ذلك الذى لا يملك قوتا ولا ثيابا ولا مأوى ، ولا بصرا او طاقة ، ما الذى يغريه بالبقاء ؟ انه متأكد من ان لحظة واحــدة من السعادة لن يراها الى ان ينتهى ، وان حياة افضل لن ينالها ، ولكن ٠٠ ولكن يستمر فى البقاء مع ذلك ؟ ٠٠ انني لا اطلب منه ان ينتحر ، انما اصف بقاءه بانه خيانة وخطأ، واذا كان كذلك فالاولى ان يكون ٠٠ وهنا يا عزيزتى يجدر بالمرء ان يقيس نفسه بذلك الذى وصفته ، ويتساءل عن

سر بقائه ، لطالما تساءلت شخصيا ، لماذا آكل ؟ لماذا اشرب ؟ لماذا اتألم ؟ لماذا اغتبط فى بعض الاحيان ؟ لماذا اصارع باستمرار ؟ لماذا يجب ان ابقى حتى اموت ؟ ان اشتعل حتى انتهى ؟ (فترة صمت) استمعى جيدا يا زوجتى العزيزة ، اننى لا احدد فكرتى بالضبط ، والدقة بالكلمات ولو اننى اعى ما اقول ، واترك ان تجابهى هذه الاسئلة وتجيبى عنها فى باطنك بنزاهة وتجرد ٠ والاحظ لك اننى غير متأكد من ان اقتناعى بضرورة الانتحار ، كان نتيجة منطقية فلربما اقنع نفسى بهذه النتيجة لكى ينفذ قرار ربما اتخذته نتيجة لتزحلق فى اتجاه يتنافى مع الحياة ــ كما يقول انا ــ وايا ما كان الامر فسواء كنت مخطئا او مصيبا ، فانى اعتقد اننى على صواب ، واننى بالاضافة الى ذلك انساق متزحلقا بجاذبية الغبطة ٠ (برهة صمت) باختصار ، لا ارى مانعا فى ان امسك مسدسا فى يدى اصوبه نحو قلبى ، ثم اضغط باصبعى لكى اضع نهاية لبقاء غير مسرور به او راض عنه ، واذا جبنت عن ذلك فبوسعى ان اتناول من الخمر ما يجعلنى لا افقه شيئا ٠٠ افهمت ؟ افهمت ٠ ؟ ٠

(ينهض متمايلا جيئة وذهابا فى الغرفة)

صفية ، افاهمة ؟ افهمت ، اننى لم افهم نفسى بدورى ، كلا ، كلا ، اننى افهم جيد الفهم ما اقول لقد عبرت ربما بغموض ، لكن عن مشاعر صادقة ، وانت افهمت ؟ انك لـم تفهمى ، ان تفضلى البقاء فلا احـد يصدك عن ذلك ، اللهم الا باستثناء البقاء نفسه ، انت حرة بعض الشىء حرة فى هذه اللحظة بالذات لكى تتدحرجى نحو البقاء او نحو العـدم لكن لا احد يضمن لك انك لن تندمى بعد هذه اللحظة بالذات٠ كلا ، كلا ، لا احد منا حر ، انما حددى هل تشعرين بالميل الى التزحلق نحو البقاء او نحو العدم ؟ اما من جانبى فاننى اتزحلق نحو العدم ، اننى على وشك الانفجار كالضفدعة

صفية ــ (تنهض مذعورة) حامد ، ما الذى بـك انك فى حـالة غير عـادية ، اجلس يا حامد ، هدىء اعصابك ٠

حـامد ــ (يجلس) اننى فى حالة غير عادية هكذا ترين ؟ صحيح ذلـك ، لاننى متجرد من كل ما يغرى ، واع لوجودى ٠٠ ينبغى ان يكون المرء كذلك لكى يتزحلق نحو العدم (فترة صمت)

لا شك ان الانسان الاول آدم ــ كـمـا يسمى ــ اجتـاز نفس اللحظات التى اعيشها ، متجردا من كل المغريات ،

صفية ــ (تقاطعه) لقد استمر فى البقاء لماذا ؟

حـامد ــ ربما اغرته حواء ، ربما تزحلق فى اتجاه غبطة وفرتها له ، ربما لم يهتد الى طريقة ينهى بها بقاءه ، المهم يا صفية ماذا تفضلين ؟

صفية ـ (مترددة) الموت ٠٠ الحياة ٠٠ البقاء ٠٠٠ العدم ٠٠ كلا ، كلا ، لا هذا ولا ذاك ، انما ، انما حامد لماذا وضعنا انفسنا فى هذا المأزق ؟ لماذا لا نفكر الا فى الموت والحياة ؟ اضرورى ان نفكر فيهما ؟ حامد ، افعل ما بدالك ، فاننى لا استطيع الخيار بين هذا او ذاك ، لا اقحم نفسى فى هذا الامر المحرج ٠٠ ان ٠٠ ان ٠٠

حامد ـ (يقاطعها) صفية انك لم تفهمى ٠ اننا لا نستطيع ان نختار ابدا ومهمتنا لا تتجاوز تحديد ما نحن مجبورون الى الميل اليه على انه من اختيارنا ، اسمعى حين انظر الى الحياة اراها عبارة عن اسلاك شائكة يجرى فيها التيار الكهربائى، سأتالم لا محالة ان اقتحمتها ، وقد ذقت بالفعل كما ذقت انت وتذوقين آلامها ، ثم التفت باحثا عما هو غير الحياة فاجده العدم ، الموت ، وبما اننى لا اعرف عن الموت الا انه الراحة من الالم ، فاننى دون اختيار اجدنى متزحلقا نحوه ، الموت ، نعم الموت (فترة صمت) لقد كنت تقولين ان الحياة لم يعد لها طعم ، حينئذ ماذا تفعلين فيها ؟ اعتقد انه لولا الجوع لما بحث احد عن الطعام ، وكذلك الحياة ، (برهة صمت) صفية ، اريد رأيك باختصار ، هل تميلين الى الحياة او الى الموت ؟

صفية ـ (فى استسلام) لم يبق للحياة طعم ، اتمنى لو اننى غير موجودة ، لقد اقنعتنى ٠

حامد ـ اين مسدسى ؟ اعطنى اياه ٠٠

(تقوم صفية فتحضر المسدس من الخزانة)

صفية ـ (متسائلة) لونك يتغير ٠

حامد ـ (يتناول المسدس) لا تنظرى الى وجهى ،

صفية ـ اننى خائفة وجلة

حامد ـ لا تتصورى الموت كما يفهمه الآخرون ، فاجعة ونكبة ، فما هو الا لحظة الم تريح من الم الحياة كله ٠

(يجلس الى جانبها)

صفية ـ (ترتجف) الست خائفا ؟

حامد ـ اننى مغتبط ايما اغتباط ٠

صفية ـ اننى خائفة ايما خوف ٠

حامد ـ لا تتصورى انك ستموتين ، انك انما ستقومين بعمل عادى ، اتتذكرين اليوم الذى (٠٠٠) حين تجردنا من ثيابنا كلها ، واسدلنا ستار النافذة واغلقنا الباب ؟ لقد تألمت آنذاك واغتبطت بدون شك

صفية ـ لا تذكرني بالماضي ٠٠

حـامد ـ بالعكس ، لانه هو الذي زحلقنا الى هذه اللحظة ٠

صفية ـ كلا ، انما لانه عزيز رغم ما فيه

حـامد ـ ينبغي ان لا نتخيـل ، لان ذلك نوع مـن الحيـاة ، يجب ان ننتهي ٠

(ينهض فيسدل ستار النافذة ويغلق الباب) ٠ ما اجمل ان لا نتألم يا عزيزتي، كم اشعر بالغبطة حين اتصور ان الاسلاك الشائكة لن تمسني

صفية ـ (تفتح ذراعيها) حامد ، زوجي العزيز ، اقترب ضمني اليك قبلني من شفتي ٠

حـامد ـ (يحتضنها ويقبلها) آه ، يا عزيزتي ،

صفية ـ (تبكي) احقا سنموت ٠

حـامد ـ نعم ، ويجب ان نغتنم هذه الفرصة ، هاك المسدس ، صوبي فوهته الى قلبك ، وحين نوشك ان ننتهي من قبلة طويلة ، اطلقي النار ، وبعدها اتناوله فافعل مثلك

صفية ـ (تتناول المسدس وتصوبه الى قلبهـا) هيـا قبلني اضغط بعنف على شفتي ، اريد قبلة جنونية ٠

(ينهمكان في قبلة طويلـة)

حـامد ـ (يهمزها) هم ٠٠ هم ٠٠ أ ٠٠ أ ٠٠ أم ٠٠ هـ ٠٠ م

صفية ـ (تتخلص منه) انني خائفة يا حامد ٠

حـامد ـ (منفعلا) قلت لك لا تتصوري انك ستموتين

(يجذبها نحو صدره)

لنعد الكرة مرة اخرى ، يجب ان تطلقي النار هذه المرة

صفية ـ (باكية) سأحاول ٠

(يتعانقان)

حـامد ـ (يضمها) هم ٠٠ هم ٠٠ أ ٠٠ أ ٠٠ أم ٠٠ هـ ٠٠ م

صفية ـ (تقفز مبتعدة) لا استطيع ، لا استطيع ٠٠ ان هناك قوة تمنع اصبعي من التحرك ٠٠ حـامد لماذا يأبى اصبعي الضغط على الزنـاد رغم انني مصممة على ذلك ؟

حـامد ـ (يعيدها الى احضانه) صفية كوني جدية ، ان الهزل لا يصلح في كل الاوقات ٠٠ هات المسدس ٠

صفية ـ (مرتجفة) اقتلني انت يا حامد ٠ افعل ما تشاء

حامد ـ حسنا ، سأفعل ذلك هيا نتعانق .
(يتناول المسدس ، يتعانقان)

انا ـ (يظهر فجأة) حامد ، حامد حذار ، اياك ، لا تطلق النار ، لا تتحمل مسؤولية موتها .. لانك لست المسؤول عن بقائها .. كل احد مسؤول عن نفسه بنفسه .. اياك .. حذار .. لا تطلق النار
(طلقة نارية)

صفية ـ آه .
(تسقط)

حامد ـ (ينهض مبحلقا فى المسدس) والآن اتى دورى .
(يصوب المسدس الى قلبه)
هاه طلقة واحدة استريح على اثرها الى الابد ، مثل زوجتى العزيزة ، نعم . نعم . ليست هناك اية قوة تصدنى عن التزحلق نحو نهايتى ،

انا ـ (يقهقه) اجاد انت يا حامد .

حامد ـ (ثائرا) اين كنت ايها اللعين دعنى وشأنى ،

انا ـ (جادا) الا يمكن الاستمرار فى الحياة ولو لحظة واحدة ؟

حامد ـ آه ما بال اصبعى ، انه جامد ، يا للسخرية ، ايمكن ان لا اموت ؟ فظاعة عبث ، سخرية ، زراية .. نكالة ، نذالة .
(يلتفت الى صفية)
صفية ، صفية ، زوجتى العزيزة ، ماذا تفعلين الآن ؟ هل تفكرين فى شىء ؟
(فترة جمود)
الدم يسيل من قلبها .. يا للفظاعة .
(يغمض عينيه ثم يفتحهما)

انا ـ (فى أسف) لم تستمع لندائى يا حامد، نهيتك، حذرتك، لكن ، انظر ماذا فعلت . كانت صفية المسكينة قبل لحظات ، تمنحك الغبطة ، من شفتيها ، ومن دموعها ، كان عليك يا حامد ان لا ترتكب هذه الحماقة .. لقد اخطأت

حامد ـ (فى اصرار) كلا ، كلا ، لم اخطىء ، لم افعل شيئا خطأ كان ام صوابا ، لقد كانت تميل الى التزحلق نحو الموت فدحرجتها ، غير مخطئى افهمت يا انا ؟ افهمت ؟ (ينظر الى المسدس) آه ، يجب ان اتمم المأمورية لقد تأخرت
(يصوبه الى قلبه)

انــا ـ ايتها الضفدعة الغبية ، حذار ، تمهل رويدك ،

حـامد ـ ان اصبعى ٠٠ انه ٠٠ تحرك ايها الاصبع ، لا تصغ الى اقوال انا ، انه مغرور متخاذل ٠

انــا ـ (ضاحكا) ايتها الضفدعة المسكينة ، ان من ضعفت ارادته عن مجابهة الحياة لن يقوى على مواجهة الموت ٠ (يقهقه) لن تطلق النار ، انك تعرف ذلك ، انك تخشى الالم ، وبينـك وبين الموت مرحلـة الم لا بد مـن اجتيازها ٠٠ انك هارب من الم الى الم ، فالى اين المفر ايها الهارب ؟

حـامد ـ (كالمجنون) يجب ان اموت ٠٠ لا اطيق الحياة ، ابدا ابدا ٠٠
(ينظر الى صفية ثم الى المسدس)
صفية ، صفية ، اقتلينى يا زوجتى العزيزة ٠ كلا ، كلا ، انت مستريحة الا ايها الموت زر وحدك

انــا ـ (يقاطعه) تعرف يا حامد ، انك تغتبط بعـدم اطـلاق النـار ، اليس كذلك ؟ ؟ ؟

حـامد ـ (باعلى صوته) ايها الموت ، اننى هارب اليك من الحياة ، تعال لتنقذنى
(يسقط مغميا عليه)

ستــــار

الفصـل الـرابـع

المنظر : مكتب مدير السجن ، يشبه فى اثاثه المكاتب عادة ، الوقت قبل الضحى

المشهـــد الاول

حـامـد ـ سميـرة ـ ابـوهـا المـديـر

حـامد ـ (وهم داخلون) قلت لكما لا ، لا ٠ ابعد عشرين سنة من الانقطاع عن الحياة تريدون فسخ الحكم الذى اصدرته ٠٠ ارجو يا حضرة المدير ان تصدقنى ، اننى اغتبط ايما اغتباط وانا اتزحلق هكذا فى لا شىء ، بعيدا عن كل الم ، ارجو ان لا تضطرونى الى ٠٠
(يجلسون)

المدير ـ (يقاطعه) حامد ادعوك الى التفكير مليا
(يلتفت الى سميرة)
ما رأيك يا بنيتى ؟ انها قصة غريبة حقا ٠٠ ؟

سميرة ـ (تخاطب حامد) انت هارب هارب من الحياة هارب من الموت ، فاهرب من السجن كذلك ،

حـامد ـ (ساهما) الى اين يا سميرة ؟

المدير ـ انك لم تبلغ من العمر الا ثلاثة واربعين سنة ، ما زلت شابا ، فلماذا تريد ان تستمر فى السجن لمجرد افكار يسهل جدا ان تغيرها ؟

سميرة ـ (مرتبكة) اهرب ، اهرب الى ٠٠ افعل مثلنا ٠

حامد ـ ماذا تفعلون ؟

سميرة ـ نفعل ما بدا لنا، نلهو، نمرح، نغتبط ، نحزن ، نفعل كل ما فى الحياة

المدير ـ هناك مليارات من الناس يمارسون الحياة ٠

حامد ـ لماذا ؟

سميرة ـ اننا لا نتساءل لماذا ، وليس ضروريا ان نتساءل ٠

المدير ـ لاننا موجودون ،

سميرة ـ بالاضافة الى ما قال ابى ، ما الداعى الى البحث عن اى غرض نحن نعمل ، اننا نمارس جميع عناصر الحياة وكفى ٠٠

حامد ـ الا يزال صنع القنابل الذرية مستمرا ٠ ؟ ٠

المدير ـ **سميرة** ـ (معا) تطور بكثير ٠

حامد ـ (مغتبطا) اذن لست وحدى ، الاخرون ايضا مثلى ، كنت اعتقد منذ زمن ذلك ، ان الكل يتزحلق نحو الغبطة ٠ اسمعوا اتركونى وشأنى ، سأعود الى السجن لاننى غير مخطىء

المدير ـ (ينهض من المقعد) سأذهب لقضاء امر متأكد ، واعود بعد قليل لاجدك يا حامد مستعدا للخروج من السجن ، كفاك عبثا ، ينبغى ان تمضى فى الاوراق ، وتخرج من هنا ثم تفعل ما بدا لك ٠٠ لا يهمنى من امرك الا انك تخرج من هنا ،

(يشير الى سميرة)

الا تخرجين ؟ دعيه وحده يفكر ٠

سميرة ـ سأمكث هنا يا ابى ، ينبغى ان يقتنع بضرورة الخروج من السجن ، واننا لنتحمل ازاءه مسؤولية انسانية ويقين اننى سأقنعه

المدير ـ سأعود بعد قليل ، لا تتعبى نفسك كثيرا من اجله (يخرج)

المشهد الثانى

حامد ـ سميرة

حامد ـ (متعجبا) اوصلتم الى هذا الحد ، يخرج الاب وتبقى ابنته مع اجنبى ؟

سميرة ـ (متجاهلة) الا يعجبك شىء فى الحياة

حامد ـ يغرينى ٠ ؟ ٠ لا شىء ، الحياة تبدولى اسلاكا شائكة يسرى فيها التيار

الكهربائي بل انها بالفعل كذلك ، وقد لمست بنفسي هذه الاسلاك كما كنت اقص عليكم (فترة صمت)

ابوك يلح على خروجي من السجن، لانه يريد ان يتخلص مني وانت ما الذي يدفعك الى هذا

سميرة ــ (مضطربة) الست جميلة ؟

حامد ــ (مبتسما) بلى ، شقراء طويلة القامة ، شعر كأنه الذهب ، عينان في لون البحر، شفتانبلوريتان، العذوبة والرقة تسيلان من كلما يتعلق بك ، انف كانما مكث في صنعه سنوات ، جميلة ، جميلة ، ثم ماذا ؟

(برهة صمت)

حلمت بك في فترة من الفترات ٠

سميرة ــ (هامسة) الست عنصرا جميلا في الحياة ؟

حامد ــ من بين عناصرها الاخرى ٠

سميرة ــ (متداركة) حامد ، يجب ان لا تبقى في السجن ٠

حامد ــ عجيبة ٠

سميرة ــ (مغضية) لن تتألم من شيء ، سيتوفر لك كل شيء ، كل ما تريده كل ما تتزحلق نحوه مما يغبطك ٠

حامد ــ (يقاطعها) في مقدمة ذلك جمالك ؟

سميرة ــ (متأسفة) اتهزأ ايضا ؟ انني خجلى ، كف من السخرية

(لحظات صمت)

اريد ان تهرب الى ٠

حامد ــ ابدا لا اهزأ ولا اسخر ايضا ، لكن اتعين ما تقولين ؟ انك تسخرين مني ولا شك ؟ كما كان انا يسخر مني ٠ والا ما معنى دون البرية كلها ، تطلبين من سجين ان يخرج معك لتوفرى له السعادة والغبطة انني لا اكاد افهم ٠

سميرة ــ (تخاطب نفسها) نعم دون البرية كلها ، والا لماذا انا جميلة ، ان لم احقق بجمالي ما ارغب فيه ، انني اكون سعيدة ان امارس ميزاتي ، ان اكون اقوى من الحياة ٠

حامد ــ الاولى ان تتزحلقي في اتجاه آخر ، انت جميلة صغيرة ، جميلة ثرية ، وجدير بك ان لا تتنازلي حتى للكلام مع سجين يحاول ابوك التخلص منه ٠

سميرة ــ أأجمل من صفية انا ٠ ؟ ٠

حـامد ـ المهم انك لو كنت مكـان صفيـة لتزحلقت فى نفس الاتجـاه الذى تزحلقت فيه ٠

سميرة ـ اما زلت تسخر منى ؟

حـامد ـ كـلا ٠

سميرة ـ اذن ؟

حـامد ـ ماذا تعنين ؟

سميرة ـ سأكون شقية ان ٠٠

حـامد ـ (يقاطعها) لم تغرينى ؟

سميرة ـ ان لم تحبنى ٠

حـامد ـ يا للسخرية ٠

سميرة ـ (تقف) حدق فى مليا ، الا ترى فى سحرا ؟ الا ترى فى جاذبية قوية ؟ لقد حلمت بى يا حامد ٠ (تقترب منه)

حـامد لقد فقدت قبل عشرين سنة طعم الحياة ، او حاسة تذوّق الحياة كما كنت تقول ، ولكن الا اقدر على ان اعيدها اليك ؟ حامد اهرب الى ، اعتبرنى نوعا من الحياة ٠

حـامد ـ (يلين) اجادة انت ؟ يا لك من مسكينة ان كنت حقا منجذبة الى التزحلق نحو هذا الاتجاه

سميرة ـ (تستند بصدرها على كتفيه) حـامد اكون مغتبطة لو تنجذب الى لو تهرب الى ، اننى حياة من نوع خاص اعتبرنى هكذا

حـامد ـ الا تتلقين اراء اخرى من باطنك ؟ الا تشعرين بـازمة ضمير وانت تتزحلقين هكذا ٠ ؟ ٠

سميرة ـ حامد لماذا تحرص على تفسير تصرفات نحن مجبورون على اتيانها ؟ (تمرر يدها على ذقنة ثم شفتيه)

حـامد ـ (يرفع رأسه فتلتقى اعينهما) سميرة انك تتزحلقين نحو اتجاه خطير ٠ (فترة صمت)

سميرة ـ (تتنهد) الست جميلة ؟ الا تذوب وانت تتأملنى ؟ الا تضيع فى زرقة عينى ؟

حامد ـ (ساهما) بلى

سميرة ـ اذن ؟

حـامد ـ الم تجدى فى الحياة من يفتتن بك غيرى ؟

سميرة ـ بلى ، انما ..

حامد ـ لقد قلت لك انك جميلة ، وانني معجب بجمالك ،

سميرة ـ ولكنك لم تتأثر بجمالى ، لم تنجذب نحوه ، اننى حين اراك هكذا مصرا اكاد اكفر بجمالى ، ويعترينى شعور غامض يحثنى على الانقضاض عليك .

حامد ـ (مبتسما) منتقمة منى ، كان انا يقول لى ان الانتقام عنصر من عناصر الحياة الضرورية . عجبا .

سميرة ـ (تلثمه) الا استحقك؟ الست جديرة باناعيد اليك حاسة الحياة، حامد الم تشعر بشىء وانا اقبلك لقد اقشعر جسدك ، الحياة ما زالت تنبض فيك .

حامد ـ (يتنهد) ابتعدى عنى .. انك تحاولين اغرائى لكى اتدحرج نحو الحياة

سميرة ـ ثق انك لن تفقد الغبطة ابدا .

حامد ـ امن اجل الغبطة فقط نحمل انفسنا آلام اسلاك الحياة الشائكة .

سميرة ـ (متجاهلة) لقد تخرجت فى الطب منذ اشهر ، وسباشر عما قريب المهنة ، وزيادة على ذلك فان لدى ابى من المال ما يكفى ، لن نتألم قط ، انك لن تعود الى الحياة التى كنت فيها . ستخرج الى حياة جديدة . (يدخل المدير)

المشهد الثالث

حامد ـ سميرة ـ المدير

سميرة ـ ابى العزيز ، حامد قرر الخروج من السجن ، لقد اقنعته ،

المدير ـ (يضع حقيبة امام حامد) شىء جميل جدا ، حسنا يا حامد تفضل يا حامد ، امض على هذه الاوراق ، وها قد احضرت لك بدلة جميلة ، وحذاء وكل ما يلزمك .

(يقدم له ملفا)

ابدأ حياتك من جديد ، مبتعدا عن كل افكارك القديمة .

سميرة ـ (تخاطب اباها) اسمع يا ابى ، اننى ضامنة فى خروج حامد ، والمسؤولة عليه .

حامد ـ (يخاطب نفسه) يا للسخرية ، ضامنة ومسؤولة ... ترى ما تكون الحياة لو كان هناك مسؤول عليها وضامن لوجودنا فيها انها تتحدث الى

ابيها كما لو كان صديقا لها ابلغ التطور الى هذا الحد ، ام هى مؤامرة ضدى ٠ ؟ ٠

المدير ـ ضامنة فى خروجه ؟ ومسؤولة عليه ؟ لم افهم ما تعنين ؟

سميرة ـ اعنى، اعنى٠٠ اننى٠٠ ان حامدا، فقد حاسة الحياة، فلم يعد ينسجم معها ، وسينتحر مرة اخرى فور خروجه من هنا

حـامد ـ (يخاطب سميرة) انك تتزحلقين كما لا ينبغى ٠

المدير ـ حامد امض فى هذه الورقة ٠

سميرة ـ لقد قررت الزواج من حامد يا ابى ،

المدير ـ (فى شىء من الدهشة) مآذا ؟ لماذا كان ذلك ؟

حـامد ـ انك مخطئة ٠

سميرة ـ ما الذى تراه مانعا يا ابى ؟

المدير ـ لكن ما الذى دعاك ؟

حامـد ـ (لنفسه) باستمرار اهرب !٠ هارب من الحياة، هارب من الموت، هارب من السجن ٠٠ ترى لماذا كان هروبى ؟

سميرة ـ لقد قررت الزواج من حـامد ، ولا ارى مانعا من ذلك بل اننى مندفعة الى انقاذه من السجن من الموت ، اننى اريد ان اعيد اليه حاسة الحياة ان اعيده اليها ٠٠

المدير ـ (لحامد) ما رأيك انت ؟

حـامد ـ لا رأى لى البتة ٠

سميرة ـ امض على الاوراق كما قال لك ابى يا حامد ٠ ولن تتحمل اية مسؤولية فى المستقبل ٠

المدير ـ لك مـا تشائين يا سميرة ، انت المسؤولـة على كـل تصرفـاتك ، لـن اتدخل فى الامر ٠

(يلتفت الى حامد امض هنا يمضى حامد)

سميرة ـ (مغتبطة) ارتد ثيابك يا حامد وهيا بنا نخرج ٠

حـامد ـ (ينهض من المقعد) سأفعل ما تشائين حسب الشرط ٠ ان لا اتألم ٠ لقد كنت فى السجن ايضا اتألم، لكن‌دون تحمل مسؤولية ذلك الالم

(يرتدى الثياب ثم يقترب من سميرة)

سميرة هل تريدين ان اشكرك ؟ كلا، كلا، انك لا تستحقين الشكر ، وجزاؤك ان تغتبطي حسبك ذلك ٠ انك جميلة ، وجمالك هو الذى دحرجك الى هذا التزحلق ، اما ما دحرجني بدوري ٠٠ فهو الهروب ٠٠ انني هارب ، هارب الى اللالم ،

المدير ــ اهنئكما ٠ سيكون الاحتفال بالعرس مع الاحتفال بفتح العيادة ٠٠

سميرة ــ انك هارب الى ، يا حامد ٠

حامد ــ (يقترب منها) هارب وكفى ٠
(يمسكها بيد ويمسك المدير باخرى ، ثم يخرجون)

انتهت

الطاهر وطار

كتب وصلت الى المجلة :

- **راهب الفكر** (ملحمة شعرية) تأليف **عبد السلام هاشم حافظ**
- **تونس العربية** تأليف **احسان حقى** (دار الثقافة بيروت)
- **نداء الام** (ديوان شعر) تأليف **توفيق اليازجي** (دار الرائد ــ حلب)
- **ابنة الفصول** (ديوان شعر) تأليف **توفيق اليازجي** (دار الرائد ــ حلب)
- **وداعا يا ظل** ــ تأليف **مارى ستولز** ونقله الى العربية **فؤاد مويانى** (طبع المؤسسة الاهلية للطباعة **والنشر) ــ بيروت**
- **المجمع اللغوى في عام** ــ بقلم **الدكتور ابراهيم مدكور** (الامين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة)
- **الانتاج الفلسفي خلال المائة السنة الاخيرة في العالم العربي** بقلم **جميل صليبا** (دمشق)
- **الفجر آت يا عراق** شعر **هلال ناجي**
- **صفحات من حياة الرصافي وأدبه** بقلم **هلال ناجي**
- **شعراء معاصرون** بقلم **مصطفى السحرتي وهلال ناجي**

— الادب والاديب —

بين القديم والحديث

بقلم : **نور الدين بوكراع**

نحب ان نعرض هنا لمشكلة يحار فيها الناشئون وقد يختلف فيها العلماء والمتأدبون ، هى مشكلة نختلف فيهـا قولا وجـدلا ، لا ينتهى عند حد ولا يقف لدى غايـة ، نختلف فيهـا بيننـا وبين انفسنا حين تنازعنا البواعث المختلفة والعوامل المتباينة الى القراءة فنقف مترددين حائرين ٠

هذه المشكلة لمن نقرأ ؟ ؟ انقرأ للقدماء ام للمحدثين ٠ ام لهما معا ؟ وهل نقتصر فى قراءتنا على ما تنضح به العربية من الوان الثقافة وصور المعرفة ام لا بد من احاطة واستيعاب او على الاقل وقوف على نتاج الافكار وثمرات القرائح ومطارح الاخيلة فى كل لسان ؟

اذا التمسنا حلا لهذه المشكلة مما نسمعه من افواه المثقفين تنازعتنا تيارات مختلفة وعوامل متباينة ففى بعض المجتمعات الادبية تتردد صيحـات وتنبعث صرخات تقول : ما لنا وللقدماء وآداب القدماء ، وقد عاشوا فى بيئات وسعتهم وانطوت عليهم ومنحتهم من المظاهر والاوضاع مالاءم حياتهم ووافق اوضاعهم ثم لم تعد الوان تفكيرهم ولا مطارح اخيلتهم ولا مأثور آدابهم تتسق مـع مـا نفكر فيه او نتخيله ؟ نسى هؤلاء الناعبون ان الحياة ان اختلفت بعض الوانها وتباينت بعض صورها ، فهى فى سماتها العامة ومظاهرها المشتركة لا تختلف فى قليل ولا كثير ، هؤلاء الذين ينفرون من القديم ويتنكرون للقدماء قد خانهم الصبر وخذلهم الجلد ، فلم تعـد عقولهم تقبـل الا اخف الوان الادب وابسط مظاهر الثقافة ، ونسوا ان الاساس الذى نبنى عليه ، والمصدر الذى نقتبس منه والذخر الذى نمنح من معينه هو الادب القديم ، فان اغضينا عنه واغفلنا شأنه بنينا حياتنا على شفا جرف هار ، واقمنا مجدنا الادبى على غير اساس ٠

وهناك اناس يسيئون الظن بكل جديد ، ويتهمونه اشنع اتهام ويصفونه بالضعف والهزال ، ويؤمنون اعمق الايمان ان هذا الادب الذى تهدر به طبائع المحدثين لا يصلح للبقاء ، ولا يستحق العناية والاهتمام ٠ يستخفون فيه كل فكرة ويستهجنون كل اسلوب ويلتمسون العيب فى كل صورة ويخترعون المساءة لكل ما يختلج به الفكر او تنبض به القلوب ٠ ولو سألتهم عن حقيقة ما

يخترعون من شبه لاعوزهم الدليل واستعصت عليهم الحجة .

لا عيب فى الجديد لانه جديد ، ولا مزية للقديم لانه قديم . انما السمو والايداع او التخلف والقصور فى القيم الفنية للاثر ذات نفسه فهو الذى يدل على مكانه من الرفعة او الانحطاط والتقدم او الانتكاس لا قدمه ولا حداثته .

وقديما ملك اقواما التعصب ، واستولى عليهم الهوى مع جلال اقدارهم وعظم منازلهم واصالة رأيهم فى دولة الادب ، حتى ان بعض هؤلاء المتعصبين للقديم املى شعر البعض المحدثين على انه قديم فامتدحه واطراه واثنى عليه اجزل ثناء ، فلما انبىء بعد ذلك انه لمحدث غضب ، ومزق اوراقه وصار يقول خرق خرق . وهذا تعبير يحمل فى طياته ما كانوا يضمرون من حقد واضطغان على المحدثين .. ويظهر ان المعاصرة غالبا تكون من اقوى اسباب التحاسد واشد عوامل التنافر والتحاقد حتى ان كلمة الحق فى مثل هذه المواطن تجعل الفحول يشرقون بريقهم ويغصون بها اذا ضيق عليهم الخناق ومهما اوتى بعض الناس من قوة الحجة وسعة العقل ودقة الفهم فقد لا يملكون الغلبة على ما وقر فى طباعهم من حقد ولا ما استكن فى نفوسهم من هوى او موجدة . وان هذا لمما يدعو الى الغرابة والعجب فان عصبية الرجل وحقده وغصته بقول الحق لمما يثير الدهشة حقا .

قال ابو عبد الله التميمى : كنا عند الاعرابى ، فانشده رجل شعرا لابى نواس احسن فيه فسكت ، فقال له الرجل اليس هذا من احسن الشعر . فقال بلى ولكن القديم احب الى .

وقال ابو الحسن الطوسى : كنا عند ابن الاعرابى فقال : ايما احسن عندكم قول ابى نواس :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

او الذى اخذ منه وهو قول الاعشى :

وكأس شربت على لذة
واخرى تداويت منها بها

فسكتنا فقال : السابق اجود :

مع ان ابا نواس فيما ارى فاقه بالاختصار وعذوبة الشعر وسلامته مما ينفر منه الطبع ويستكرهه السمع والنص الصريح على ان الخمر داء ودواء . وكان الاخفش ينقد بشارا لانه محدث ويطعن على شعره ، فلما بلغ ذلك بشارا تهدده

بالهجاء فبكى الاخفش وقال وقعت فى لسان الاعمى ثم اخذ بعد ذلك يحتج فى كتبه بشعره ليبلغه ذلك ، فيكف عنه • فهذا عالم جليل وامام كبير نقد الشاعر عصبية وانفة ، ثم استرضاه فرقا ورهبا ، فلم يتحر قولة الحق ومنهج الصواب •

وهذا ابن قتيبة الاديب الكبير يدلنا على مـا كان يشيع من خلائق بعض العلماء وتحيز بعض الدارسين فى عصره من تفضيل السابقين والعصبية على المحدثين ويعلن انه لا يسير على سنتهم ولا يرضى بطريقتهم وهو ما بسطه فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء »

ولا داعى للاطالة فى عرض كثير من الصور التى تدل على تحكم الهوى فى كثير من النفوس • ولكن لادل على ان الناس فى كل عصرهم الناس والعقول هى العقول والقياس هو القياس وان اختلفت المظاهر وتباينت السمات •

وكما يختلف الناس فى هذا الزمن فى تفضيل القديم على المحدث او المحدث على القديم كذلك كان الناس فيما مضى يختلفون ويتمارون • ومثل ذلك يقال بالنسبة لما نطالعـه او نحتـاجه من ثمرات القرائح ونتاج العقـول فى الاداب الاجنبية • فكثير من الناس يدعون بسلوكهم وسمتهم الى العزلة ويزعمون ان هذه الاداب تفسد الاذواق وتحيل الاخيلة وتشكك الناس فى قيمة آدابهم •

وبعض الادباء يتعامون عن تراثنا ويغضون عن نتاجنا ويرون انه ليس من الأدب الا ما جاء عن الغرب ونطق به ادباء الغرب •

واولئك وهؤلاء يغالون فيما يرون من رأى ويلتزمون من عقيدة فان الاديب الفطن والمفكر النابه لا ينبغى ان يلتفت الى هذه الترهات والسفاسف بل يجب ان يلتهم ما يسنح له من الوان المعارف وصور البيان مهما كان الزمن الذى تمخض عنها ومهما كان اللسان الذى جاءت فيه •

ولا يفوتنى وانا اعالج هذه الناحية ان اعرض هنا صورتين تكاد ان تتقاربان فى الموضوع احداهما لشاعر قديم والاخرى لشاعر محدث وسنجد فى كل منهما من روعة البيان وخلابة المنطق وتحليق الخيال ما يبعث على الاعجاب والاكبار ، فلم يعق المحدث حداثته من الاجادة والاحسان ومسامـاة المتقدم على بعد عصره وترامى زمنه •

قال ابن الرومى فى وصف مغنيات

وقيـان كـأنهـا امهـات   عـاطفات على بنيهـا حوانى

مطفلات ومـا حملن جنينـا   مرضعات ولسن ذات لبـان

ملقمـات اطفـالهـن ثـديـا   نـاهـدات كأحسن الرمـان

مفعمـات كـأنهـا حـافلات ... وهي صفر من درة الالبان
كل طفل يدعى باسماء شتى ... بين عـود ومـزهـر وكران
امـه دهرهـا تترجم عنـه ... وهو بادى الغنى عن الترجمان

وقال فى هذا المعنى او ما يشبهه ، فابدع ايما ابداع واجـاد ابرع اجـادة الاستاذ الشاعر احمد الزين :

لامست فى النفس اوتـار هواها ... غـادة بالسحر تغـزو من غزاها
كـلمـا مست يـداهــا وتـرا ... حسد الآخـر مـا مست يداهـا
تمنـح الاوتـار كفـا رخصـة ... اسجت الاوتار من قبل شجاهـا
ويكـاد العـود يـدمى كفهـا ... قبـلا لـو ان للعـود شفـاهـا
لحنهـا يبعـث فى ميـت المنـى ... نضرة العهد ومعسول صبـاهـا
خفقــات يخفـق القلـب لهـا ... هى انـات فـؤادى او صـداهـا
وحـنـين كـاد مـن رقتـه ... ان يذيب اللحن فى العود مياها
وشجـــون طـالمـا اخفيتهـا ... نفـذ العـود اليهـا فحكـاهـا

الى ان قال :

كـل هـذا نطـق العـود بـه ... وتنـاجى هـو والنفس شفاهـا

فلننظر فى شعر المحدثين الى هذه الدقة العميقة ، وهذا الاستقصاء البارع وذلك الخيال البديع الطريف وتلك المعانى التى انسابت من قريب ومن بعيد فى الفة عجيبة حتى ليحسب المرء ان له بها عهدا وما هى فى الواقع مما تجتمع للفكر وتنقاد للخيال الا بعد كد ومطاولة وشدة احتيال .

ن - بـوكـراع

مطالعات

حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها

للدكتور عبد الرحمن ياغي

تقديم : جعفر ماجد

ظهرت باكورة عمل جليل أقدمت عليه (المكتبة المغربية) سينفض الغبار عن أدب المغرب العربى بالتحقيق والنشر والدرس ـ وقد استأثرت شخصية الأديب التونسى أبى على الحسن بن رشيق باهتمام الدكتور عبد الرحمن ياغى وعنايته ، فخص الشاعر الناقد بكتابين نفيسين أولهما : (حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها) وهو الذى سنتولى تقديمه ، والثانى قطعة من ديوان الحسن بن رشيق قام الدكتور بجمعها وتحقيقها • ويبدو أن جمع القطعة كان أسبق من البحث ـ وان ظهرت بعده فى السلسلة ـ لانه اعتمدها واستمد عناصره منها •

وقد طبعت دراسة الدكتور ياغى طبعة علمية للمرة الاولى بدار الثقافة ببيروت سنة 1961 • يشتمل الكتاب على 489 صفحة من القطع الكبير ، منها اثنتان وثلاثون خاصة بقائمة مبوبة من المصادر والمراجع وفهرس للأعلام مرتب على النظام الأبجدى • وينقسم حسب مواضيعه الى فروع كثيرة يمكن حصرها فى نقط ثلاث : 1) بيئة ابن رشيق ـ 2) حياة ابن رشيق وصلاته بأهل عصره 3) أدب ابن رشيق •

يستعرض الكاتب فى الأقسام الاولى مراحل الحياة السياسية المضطربة التى عرفتها افريقية قبل الفتح الاسلامى وبعده ويجتهد فى التدليل على وجود صلات قديمة بين اهلها واهل اليمن خاصة ـ مما ساعد الحضارة الاسلامية على الانتشار فى بلادهم والتغلغل فى نفوسهم ـ ثم يسهب فى الحديث عن عهد بنى زيرى فيتتبع ظهور دولتهم فى جو مضطرب لا يعرف القـرار واكتمال قوتها بمساعدة البربر وانفصالها عن المشرق ثم سقوطها بعد غارة أعراب الصعيد على الامـارة المتمردة • وقـد كان الموقع الذى اختـاره العرب لابتناء القيروان هيأ العاصمة الصنهاجية لهذا النوع من الحياة التى فى ظلها عاش شاعرنا ابن رشيق **(واذن فقد انشئت هذه البلدة لا لتكون محطة للتجارة تزول بزوال السبب وانما ادت غرضها وغدت مستقرا للعمران والحضارة فيما بعد عقبة الذى انشأها واختط فيها دار العمادة والمسجد الأعظم (1)**

وكانت الحياة الاجتماعية متأثرة بالحياة السياسية مؤثرة فيها • وكانت

افريقية ملتقى ثقافات متنوعة ورثتها عن حضارات أمم شتى كان لها بها اتصال من قريب أو بعيد مثل الثقافة اليونانية التى جاءت من صقلية وجنوب ايطاليا والثقافة التى سلكت طريق الأندلس ـ وازدهر اقتصاد البلاد قبل الهجوم الهلالى فانتشر اللهو واسرف الناس فيه من ناحية وزهد اهل الورع فى الحياة الرخوة اللذيذة من ناحية أخرى وأصبحوا قوة خطيرة تهدد السلطان ولا تخافه. وأخصب الفكر ونفقت سوقه فكانت الحياة الفكرية تستمد غذاءها من أربعة الوان من المعرفة : 1) العلوم الدينية وخاصة الفقه المالكى والحديث ـ 2) اللغة والنحو ـ 3) الشعر والادب ـ 4) العلم الفلسفى والطب .

وبعد هذا العرض ينتقل الدكتور ياغى الى حياة ابن رشيق فيحقق أخبار مولده وموته تحقيقا محكما رائعا يستند الى مقارنة النصوص واستقرائها فيجعل ولادته سنة 390 هـ فى المحمدية ، وقدومه الى القيروان سنة 406 هـ ، وموته ببلدة فى صقلية تسمى مازر عام 463 هـ ، وهذا الخبر الاخير هو ما رجحه ابن خلكان وخالف فيه ياقوت ـ وابن رشيق ابن صائغ رومى ، نشأ فى المحمدية وكان منذ الصبا وثيق الصلات بأهل العلم والادب ، يغشى مجالسهم ويشارك فى ندواتهم . وقد تتلمذ لشيوخ مشهورين كان لهم أثر فى نتاجه منهم أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز الذى ألهم ابن رشيق كثيرا من فصول العمدة فى البلاغة والنحو وعبد الكريم النهشلى الشاعر الناقد وابو الحسن على بن ابى الرجال الكاتب الذى كان رئيس ديوان الانشاء عند السلطان وقد أهداه ابن رشيق كتاب العمدة . ومن الشيوخ الذين عرفهم أيضا أبو اسحق الحصرى الشاعر صاحب كتاب زهر الآداب وثمر الألباب .

أما معاصرو ابن رشيق فأشهرهم أبو عبد الله بن سعيد بن شرف الذى كانت له معه منافسات ومساجلات ـ وكان يلذ للمعز بن باديس أن يثير بينهما التنافس فينظمان فى موضوع واحد وقافية واحدة وأوشكت هذه المنافسات أن تنتقل مع الشاعرين الى صقلية باغراء من اميرها ابن مطكود لولا توسل القيروانيين المقيمين فيها الى الحصمين خشية أن يصبح شاعراهما موضع التندر على ألسنة القوم .

ومن معاصريه ابو العباس بن حديدة وهو كاتب فى ديوان الرسائل له شعر كثير فى الغلمان وأبو عبد الله بن قاضى ميلة والنعمان بن ميمون الخولانى.

ما هو موقف ابن رشيق من الحياة السياسية ؟

كان لابن رشيق رأى فى صلات الشعراء بذوى السلطان ـ فقد نسب الى الحمق كل شاعر يعرض نفسه لغضب الملوك ويرى أن (التعصب لمن هو فى ملكه أصوب) . فالشعر طريق الى الجاه والمنصب ومن أكبر مزاياه رفع الشاعر الى مرتبة الخواص وتقريبه الى الملوك والأشراف ـ وقد هجم عليه الدكتور ياغى

هجمات عنيفة فقال **(هذا هو رأى صاحبنا فى الشاعر وهو رأى لعمرى يحط من قيمته ويتخذ له منهجا ليس من الكرامة فى شىء - فالشاعر فى نظره طالب فضل وهو لسان يجرى بالثناء على من هو فى ملكه وتحت سلطانه)** (2) وقد قال ابن رشيق :

ان المقام بمثل حا … لى لا يتم مع القعود

لا بد لى من رحلة … تدنى الى الامل البعيد

فكتب الدكتور ياغى **(وما أظن أن ذلك الأمل البعيد المنشود كان كبيرا عزيزا وانما هو يسير على النفوس التى تهوى الزمر والطبل فى ظلال الملوك واتباعهم)** (3) .

ويلاحظ أن شعر ابن رشيق جاء خاليا من ذكر أحداث سياسية خطيرة مرت بها البلاد فى عهده فلا حديث عن الروم ولا عن الحرب عدا قصيدته التى رثى بها القيروان . ويفسر الكاتب ذوبان شعراء ذلك العهد وتهافتهم على القصر بالفقر الذى كان حظ الطبقة السفلى وانتشار البطالة بينها اذ يقول : **(ففيما يصدر عنه من سلوك نرى ظلالا لمجتمع فاسد لا يقوم الحق فيه على أسس من العدل ولا على قواعد من الكرامة وانما الفرد صاحب حق فيه اذا كان ذا قرابة من ذوى الشأن يشفعون له أو كان ذا صلة بمن ترجى شفاعتهم أو كان مقربا يقبل استعطافه)** (4) .

ثم يؤاخذ ابن رشيق بما يكن من كره للعامة وتعريضه بالشعراء الذين يمدحونهم أو يرثونهم فيقول : **(ويوضح لنا ذلك كله ما كان يعمل فى نفسه من مرض الشعور بالطبقات ويدل على ما كانت ترزح تحت اعبائه فى المعاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا)** (5) ويستمر الدكتور ياغى فى استخلاص النتائج واستنباط الفكر ويقدم صورة عن مجتمع ابن رشيق مستمدة من النصوص فباستقراء الشعر يوضح مكانة المرأة وفساد العيش وحاجة الناس الى الهجرة طلبا للرزق ، ويستكشف بعض عادات لم يرد ذكرها فى كتب التاريخ لكن ابن رشيق لم ينقل صورة عصره فى شعره لأنه لم ينظر اليه **(نظرة المتأمل المتعمق وانما نظر اليه من اطراف عينيه ومن زاوية خاصة لا تنفذ ولا تشمل)** (6) .

ولعل هذا القسم أن يكون أمتع ما فى الكتاب لما أظهر فيه المؤلف من قدرة على الاستنباط بالرغم مما فيه من قسوة على رجل لا سبيل الى تسليط علمنا عليه مثل مفهوم الطبقات ، وبيننا وبينه تسعة قرون ونيف - وفى قسم آخر من الكتاب يخلص الدكتور ياغى الى خصائص ابن رشيق الادبية مستقلة عن السياسة وهو يشتمل على ثلاثة عناصر :

1) ابن رشيق الشاعر : جمع له الدكتور ياغى 741 بيتا ومقطوعة تضم القطعة التى جمعها الأستاذ الميمنى فى (نتف من شعر ابن رشيق وابن شرف) وعددها 496 بيتا ـ وقد تناول ابن رشيق جميع المواضيع القديمة الا أن الوصف كان أغلب على شعره ـ فهو اذن مقلد ليس له منهج شعرى خاص ٠

2) ابن رشيق الكاتب : أهم كتب ابن رشيق : العمدة فى فنون الشعر وآدابه ونقده ـ وقراضة الذهب ـ وانموذج الزمان فى شعراء القيروان ٠

من خصائصه فى الكتابة أن الفكرة تشغله قبل اللفظة اذ كان يفرق بين الابحاث والانشاء الادبى فالتزم منهاجا لم يحد عنه وجاءت كتبه متماسكة واضحة ٠

3) ابن رشيق الناقد :

يستعرض الدكتور ياغى مراحل النقد الأدبى من الجاهلية الى عهد ابن رشيق ويذكر أعلام النقد فى كل مرحلة مستدلا بقطع من آثارهم ٠

ففى الجاهلية كان النقد صورة الانفعال والتأثر السريع وكان فى القرن الأول يعتمد على السليقة والطبع والذوق العربى حتى ظهر كتاب أبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى (139 ـ 232 هـ) : طبقات فحول الشعراء ، وظهر فى القرن الثالث الكامل للمبرد ورسالة البديع لابن المعتز وقواعد الشعر لثعلب وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة والبيان والتبيين للجاحظ ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر ٠

واتسع أفق النقد فى القرن الرابع فصنف الاصفهانى كتاب الأغانى فى المشرق وكتب ابن شهيد (رسالة التوابع والزوابع) فى الاندلس ٠

وكانت هذه التيارات تنصب فى القيروان وتتجاوب اصداؤها فظهر نقدة كالقزاز والنهشلى والحصرى صاحب زهر الآداب وابن شرف صاحب اعلام الكلام **(فلا غرابة ان ينشأ ابن رشيق وهو ابن صائغ محبا للنقد كما نشأ ابوه بصيرا يميز المصوغات بالمعاينة البصيرة) (7)** ٠

ثم نظر المؤلف فى كتب ابن رشيق الثلاثة : العمدة والقراضة والأنموذج. كل على حدة متدرجا معه من عنصر الى عنصر وليته ألف بين مواضيعها واستمد آراءه فى أهم القضايا من الكتب الثلاثة ٠ وأهم المواضيع التى تعرض لها ابن رشيق بالبحث هى :

ـ القديم والجديد ـ لا يفضل قديما على جديد لقدمه ٠ وقد بلغه أن الحصرى ازمع على عمل طبقات الشعراء حسب الاسنان وكان ابن رشيق اصغر القوم سنا فقال :

رفقا أبا اسحاق بالعالم حصلت فى أضيق من خاتم

لو كان فضل السبق مندوحة فضل ابليس على آدم

يقول يا قوت (فبلغه البيتان ، فأمسك عنه ، واعتذر منه ، ومات ، وقد سد عليه باب الفكرة فيه فلم يصنع شيئا (8) ٠

ـ اللفظ والمعنى : مرتبطان ببعضهما لا ينفصمان ٠

ـ المطبوع والمصنوع : المطبوع هو الأصل لكن المصنوع غير المتعمل أفضل٠

ـ صناعة الشعر : ومنها الأوزان والقوافى ٠

ـ البلاغة : لا يتقيد فيها بالقواعد كما يفعل العسكرى ويحكم الذوق الأدبى ٠

ولقد لاحظنا ان المؤلف صرف اهتمامه ـ كما نبهنا عنوان كتابه ـ الى حياة القيروان فى عهد ابن رشيق ـ اما القسم الخاص بشعر ابن رشيق ونثره فنحيف لا نكاد نلمس فيه الجهد الذى تكلفه الدكتور ياغى فى الأجزاء الاولى من الكتاب ، يشتمل على عرض آراء النقدة المعاصرين كالدكتور محمد مندور صاحب (النقد المنهجى عند العرب) وطه ابراهيم مصنف (تاريخ النقد الادبى عند العرب) وفقرات من كتب النقد القديمة يذكرها عند المناسبة ٠ ولا يغض هذا القسم على كل حال من قيمة الكتاب ـ فقد كشفت دراسة الدكتور ياغى جوانب هامة جدا من حياة القيروان التى أظلت الحسن بن رشيق وقد استخدم الكاتب مخطوطات ثمينة مثل مسالك الأبصار لأحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى وهو مخطوط بدار الكتب المصرية نقل عنه قسما كبيرا من الأنموذج ، ومقامة الشعراء لابن شرف وهى مخطوطة فى الاسكوريال يوجد منها ميكروفلم فى الجامعة العربية وطبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى (مخطوط بمكتبة القاهرة) وضرائر الشعر للقزاز شيخ ابن رشيق (مخطوط بدار الكتب المصرية) ـ ويبدو أن الدكتور ياغى جمع قسما كبيرا من أنموذج ابن رشيق مثلما صنع بشعره فهل يفاجئنا يوما بطبعه فى هذه السلسلة النفيسة أم سيسبقه الى ذلك الاستاذ زين العابدين السنوسى والاستاذ ابراهيم شبوح ـ وقد جمع كلاهما شيئا منه فيضيفوا حلقة اخرى الى سلسة المكتبة المغربية ٠

جعفر ماجد
دار المعلمين العليا
تونس

---

(1) ص 63 ـ (2) ص 245 ـ (3) ص 249 ـ (4) ص 283 ـ (5) ص 285 ـ (6) ص 312 ـ (7) ص 400 ـ 401 ـ (8) ص 115

اضْواءُ الفِكْر

◆ السيد رئيس الجمهورية يضع تخطيطا للنهضة المسرحية المرتجاة

القى فخامة رئيس الجمهورية التونسية يوم الاربعاء 7 نوفمبر المنصرم خطابا ثقافيا هاما تناول فيه حالة المسرح التونسى باعتباره فرعا هاما من فروع الثقافة التونسية وبين الوسائل الكفيلة بتحقيق النهضة المسرحية المرجوة ورغم ان الصحف اليومية نشرت النص الكامل لهذا الخطاب فقد راينا نقل بعض فقراته لقرائنا الكرام :

... فان من شعب هذه المسالة الاساسية اعنى مسالة الثقافة وتثقيف الجمهور وتهذيب افكاره ومشاعره شعبة المسرح او التمثيل المسرحى الذى اهتم به منذ امد بعيد وانتم تعلمون انى كنت دائما مغرما بالمسرح فمن الطبيعى اننا كنا منذ الصغر نقصد المسرح حيث نتفرج على بعض التمثيليات ولكننا عندما كبرنا ادركنا ان المسرح ولا سيما فى البلاد الراقية المتقدمة ذو اهمية كبرى وان الحكومات تنفق عليه اموالا طائلة لتهذيبه ورفع مستواه وجعله مظهرا من مظاهر تمدن تلك الامة .

على ان المسرح قبل كل شىء وسيلة لتهذيب الشعب وتهذيب افراده فاذا بهم بعد هذا التهذيب يقبلون على المسارح بغير الروح التى تدفع ببعض الناس عندنا الى حفلات الطرب واذا بهم يقبلون لتقدير الكفاءة والمقدرة ويشاهدون حتى الروايات التى يعرفونها ويستظهرونها لاعجابهم ببعض الممثلين الذين يقومون بتمثيلها ويقارنون بين ممثل وآخر فى اداء دور بعينه واعطاء هذا الدور روحا جديدة وبعثه بعثا جديدا . وبهذا يسمو الفن المسرحى ويصبح وسيلة من وسائل الدعاية فى الخارج ومظهرا من مظاهر تقدم الامة وهكذا تتضح لنا اهمية المسرح وقيمته

... علينا انكون نزهاء مع بعضنا بعض صرحاء فى الحق ولا مجال لان نعتبر انفسنا قد وصلنا الى الدرجة المطلوبة او اننا بلغنا ما لا مزيد بعده او اننا فى حالة مرضية .

... هذا هو الشرط الاساسى لمعالجة مشاكل المسرح وهذه المعالجة تكون بعدة طرق ولقد ناقشت البارحة بعض المسؤولين عن الجمعيات المسرحية واطلعت على ارائهم ورغائبهم وتشكياتهم ونقط الضعف التى يعانونها ثم قلبت كل ذلك على وجوهه فوجدت فيه شيئا من الحق لكنى ارى ان البدء يجب ان يكون من الاساس ولئن كانت هناك جمعيات مسرحية ومدرسية للتمثيل تؤدى كلها عملا لا باس به يستحق التشجيع فانه لابد لنا من خلق شىء آخر اوفى بالحاجة ...

... هذا الخلق يجب ان يقوم على اشخاص لهم مستوى ثقافى طيب ولهم معرفة تامة باللغتين العربية والفرنسية فاللغة العربية وحدها لا تكفى فنحن بحكم تاخرنا عن الاجانب ولا سيما الفرنسيين والإيطاليين والانجليز مطالبون زيادة على التضلع فى لغتنا وادبنا بالتضلع فى لغاتهم وآدابهم لكى نستطيع ان نلقح مواهبنا وعبقرياتنا بوسائل التقدم الحديثة التى نجدها فى الخارج وبما نتعلم هناك ونهضمه فيما بعد ونستخدمه لخدمة المسرح التونسى وابرازه فى مظهر لائق تتجلى فيه شخصيته المتميزة ولن يكون لمسرحنا هذه الشخصية التى تساعده على ازدهار

شخصيتنا وثقافتنا الا اذا كان للقائمين عليه ثقافة عربية وفرنسية والمام بالموضوع الذى يهتمون به وتجارب تصقل ملكاتهم فهذه الثقافة هي التى تمكنهم من تحرير المسرح والنهوض به على اساس انه ميدان من ميادين الانتاج التونسى كما تمكنت انا من اداء رسالتى بعد ان ذهبت الى فرنسا وتلقيت العلوم السياسية والحقوق .

لابد اذن قبل كل شيء من اتقان اللغة العربية حتى يكون للطالب اساس قومى وطنى ثم يذهب بعد ذلك الى الخارج للاطلاع على ما هنالك . على ان كثيرين يذهبون ويعودون اطباء ومحامين دون أن يتأثروا بما فى المجتمع هناك وهذا ما يؤكد أهمية الذكاء والمواهب والكفاءة فى الاستفادة من المعلومات التى يتلقاها الطالب والاشياء التى يشاهدها ، فذلك هو ما جعلنى اتأثر فكريا بما تلقيت من فرنسا واسخره للنهوض بهذه الامة واخراجها من العبودية واظهار شخصيتها واسترجاع استقلالها وكرامتها ، واذن فان ملكة استثمار التجربة التى نمر بها سواء فى الداخل او فى الخارج أمر لا بد منه . ولا بد أيضا من ثقافة مزدوجة فالثقافة العربية وحدها غير كافية والثقافة الفرنسية وحدها تعطل الاستفادة وتعرقلها وبين ايديكم امثلة كثيرة تؤكد هذه الحقائق .

على ان الثقافة المزدوجة وان كانت شرطا اساسيا فانها لا تكفى بل لا بد من العبقرية التى لا تتوفر فى جميع الناس ولا فى عموم الطلبة والمثقفين وهو سر من اسرار الخليقة .

هذا ما يجب أن تفهموه فالدولة مطالبة بتوفير الاسباب التى تدخل فى نطاقها وتستطيع توفيرها من مدارس ومنح للطالب عندما يقصد فرنسا او ايطاليا او انجلترا او مصر او غيرها ولكن بقى شرط آخر لا بد منه وهو العبقرية والكفاءة وعسى ان يظهر فى عشر سنوات او عشرين سنة نابغة او اثنان فى ميدان المسرح للقيام بمثل ما قمت به انا فى الميدان السياسى والقومى .

اجل قد يظهر نابغة او اثنان فمن يدرى . فالمسألة ليست فى مقدورنا ونحن لانستطيع ان تصنع العبقرية وانما هى تخلق فى الانسان . ولهذا علينا أن نبدا بما فى قدرتنا فناتى بمن يعلم المقبلين على الفن المسرحى ومن يلقنهم أصول هذا الفن .

... ثم ان التمثيل ليس هو فقط عبقرية تبرز وادوار تتقن وروايات تنتقى وتشخص بل هو يفتقر ايضا لعدة امور تقنية فهناك التحكم فى الاضواء وهناك الاخراج والماكياج وتكييف الاصوات وتقدير الانوار والمقدرة على استخدام الاجهزة الكهربائية المتشعبة وهذه كلها امور تسهل مهمة الممثل . ونحن مثلما أرسلنا شبانا للخارج ليحذقوا فن التلفزة او السينما كذلك ينبغى ان نوجه فريقا منهم ليتكونوا من الوجهة التقنية فى جميع الامور التى لا يستغنى عنها التمثيل . وما كان للرجال الموهوبين فى هذا الميدان مثال جان لوى بارو واضرابه ان يصلوا الى قمة المجد لو لم يكن بجانبهم رجال فنيون يتقنون صناعتهم ولهم فيها ايضا مواهب لا يستهان بها وبفضلها يحصل ذلك التأثير وذلك الضغط الخيالى على شعور الجمهور . فثمة الكلام وثمة نبرات الصوت وثمة الاشارات وكذلك النور والظلمة وكل الاعمال والحركات الاخرى الداخلة فى نطاق الميدان التقنى .

والممثل يحتاج ايضا لان يوسع افقه الذهنى بدراسة عدة علوم منها تاريخ الاداب وتاريخ التمثيل الى غير ذلك من ضروب التثقيف التى ترفع من مستواه العام وعندما يملأ وطابه من المعرفة ويستوفى نصيبه منها وتتجمع لديه كل الاسباب والظروف التى كان فى شوق شديد اليها يبقى نجاحه متوقفا على العبقرية تلك الموهبة الخاصة التى يتمايز بها الناس وبها يتفاضلون ولا تكون وليدة الشهادات ونتيجة الدراسات مهما طالت وتنوعت ...

... واجب أن احدثكم عن أمور اخرى ليست من خصائص المواهب الكبيرة التى نريد أن نبعثها فى الممثلين بتحسين الشىء الموجود وبالسعى فى القاء المزيد من المحاضرات التثقيفية . بل هى أمور ترجع لسلوك الممثل وبها تعرف درجة اخلاصه لمهنته وشغفه بها . فهو حين يعتلى خشبة المسرح يلزم ان يعتقد انه يقوم بعمل جدى له اهميته ووزنه . ويلزم ان يلتزم الممثلون حدا ادنى من احترام الجمهور الذى دفع ماله للتفرج على الروايات التى يعلنون عنهـا ويدعون العموم للاقبال عليها وبدون ان نشترط على الممثل ان يكون عبقريا من الطراز الاول نريد منه على الاقل ان يكون حافظا لدوره حتى لا يطغى صوت الملقن على صوته ...

... على ان الحقوق والواجبات فى المجتمع البشرى مرتبط بعضها ببعض وبينها تكافل وثيق الصلات ، فالى جانب واجبات الممثلين توجد حقوق ثابتة لهم والى جانب حقـوق الجمهور تـوجد واجبات عليهم الوفاء بها على اكمل الوجوه ومن جملة هذه الواجبات ان يحترم المتفرجـون ذلك المحل العمومى الذى دعوا اليه وفى احترامه احترام للممثلين وللعمل الذى يقومون به ويجهدون انفسهم للتبرز فيه ...

... ومسالة الدخول الى المسرح بعد الوقت المحدد لا بد من معالجتها بان نحترم هذا الوقت فنرفع فيه الستار أو بعد بخمس دقائق على الاكثر مراعاة لما قد يحدث لبعض المتفرجين فاذا رفع الستار حجر الدخول فلا يقبل ان يعطل بعضهم سير التمثيل ويشوش عـلى المتفرجين بصرير الابواب واختراق الصفوف حتى يصبح من العسير عـلى الحاضرين فهم ما يقول الممثلون لتوزع انتبـاههم .

فعسى أن يعتبر رجال المسرح بما جاء فى هذا الخطاب القيم ويعتمـدوا كل الاعتماد عـلى تشجيع الحكومة الذى أكـده السيد الرئيس ليبنوا صرح مسرح قـومى عصرى يخـدم ثقافتنا وشعبنا ويـرضى اذواقنا ومشاعرنـا الانسانية .

◆ بين التطـور والجمـود

ما يزال النقاش عن حركة التطور وانعكاساتها العديدة على الاجيال الصاعدة تشغل بـال المفكرين . وما يزال الحديث عنها متواصلا بين أنصار الحديث والقديم . ومن ذلك ما نشرته مجلة المربى الفرنسية فى عددها الصادر بتاريخ 15 اكتوبر 1962 نقلا عن مجلة «التوافق» الذى ورد فيه :

« ان مفهوم الثقافة عند كثير من الناس هو مجرد الالمام بمعلومات عديدة واستحضار اخبار متناثرة عن شتى المواضيع . ولا يخفى خطأ هذا التعريف . فعصرنا الحاضر الذى يغمره الجمال والسمو قد يبعث على الحيرة والخوف احيانا . ويتحتم أن تعمل الثقافة على تدريب ردود الفعل البشرية وحملها على التفكير والتامل فى مظاهر الامور وأعمال الفكر فيما يجب أن يكون دور كل فرد فى هذه الحركة التطورية الدائبة للحضارة الانسانية » .

ويقول صاحب الفصل أنه جاء فى مقال آخر عن نفس الموضوع : « يتجول الاب أو الام مع ابنه الذى لم يبلغ من العمر الا 4 سنوات ، فتمر طائرة نفاثة فى السماء فيبحث الكهل الذى لم يتجاوز عمره 30 أو 35 سنة . فلا يكتشفها من اول نظرة لأن نظره تعود سرعة فضائية معينة. اما الطفل فسرعان ما يهتدى ببصره الى الطائرة، لانه شب على مشاهدة الطائرات فى سرعة 1000 كلم فى الساعة . وتلك الزاوية بين نظرة الاب أو الام ونظرة الطفل» ترمز الى احدى المشاكل الاساسية فى حضارتنا اعنى سرعة التطور وأثره على روح الانسجام بين الكهول والاجيال الصاعدة .

والتقدم الفني يدفعنا دوما الى أن نعيش في عوالم شديدة التحول والاختلاف حتى أن ردود الفعل لدى الطفل الصغير يمكنها أن تتماشى مع الواقع بينما لا تتماشى ردود فعل آبائه معه ، وتلافيا لهذه الظاهرة الخطيرة ، اجتمع اخيرا 500 مرشد في التوجيه الصناعي من مختلف بلدان العالم في بلدة كاشان بفرنسا ، واتفقوا على انه اصبح من المتعذر توجيه الناشئة لبعض الصناعات بل يتعين عوضا عن ذلك اعانتها على التكون تكوينا عاما ـ من درجة عليا ـ يمكنها عند الاقتضاء من القيام بأدوار مختلفة في الحياة ، تماشيا مع الظروف التي تعيشها • ويتحتم ان يقع الشروع في ذلك ابتداء من المدرسة الابتدائية » •

وأكد جمع من خبراء اليونسكو : « أن الاكتشافات العلمية الاخيرة قضت على معظم الطرق والاساليب التربوية العتيقة • ولا غنى لنـا عن أن نميز بين الاساليب الباعثـة عـلى التفكير والاستنباط والوسائل التقليدية المعهودة » •

وجاء في مجلة التربية القومية : « يتحتم اعداد التلاميذ لخوض معركة الحياة بصفتهم الفردية كما يتحتم اعدادهم كمواطنين من مجموعة بشرية • ولن نحقق ذلك بالمحاضرات النظرية ، بـل الواجب يدعونا الى استخدام المطالعات الفـردية والقيام بالبحوث وحمل اطفالنا عـلى التنقيب بانفسهم عن الوثائق العلمية والعمل دوريات وتحرير المقالات والتقادر على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخ ••»

وجاء في خطاب لمدير مصلحة رجال التعليم بوزارة التربية القومية بفرنسا : « ان تقدمنا العلمي والفني قد أثار بعد مشاكل القرن الواحد والعشرين وما يزال معلمنا متأثرا بمفاهيم القرن التاسع عشر ، فانظروا الى مدننا كيف أصابها داء التضخم وما ندفعه يوميا من جراء تقدمنا العلمي ، وانظروا الى جامعتنا التي تعمل اكثر من اية مؤسسة اخرى لتقدم البشرية والحضارة وأساليبنا في تسييرها الموروثة عن القـرون السابقة • فان لم نهتد الى استنباط طرق جديدة لتنظيمها وادارتها وفقا للاساليب العلمية العصرية وتقدمنا الفني ، فسنقضي على مستقبل حضارتنا، ونذهب ضحية لخلافاتنا الصبيانية » •

وقد نتساءل بعد كل هذا عما اذا تطورت اساليبنا وطرقنا في التربية ؟ والحقيقة انه لا يوجد في أية مهنة هذا الفارق بين ما يقال وما يفعل ، فما رأيك لو اخذ علماؤنا يفسرون لنا قواعد التنوير العمومي أو الخـاص وأسرار التنقل بواسطة السيارات وما وضعه الانسان للاتقـاء من الحوادث والاخطار وما وفره لنفسه من أسباب الراحة والمتعة في الارتال التي تزيد سرعتها عن 140 كلم في الساعة ، ان كنا في الواقع لا نستنير الا بالبترول ولا نتنقل الا بالعربات التي تجرها الحيوانات أو في الارتال العتيقة التي يرجع عهدها الى نصف قرن مضى والتي لا تـزيد سرعتها عن 40 كلم في الساعة • والغريب أننا نثور أمام هذه الحالات ولكننا لا نكاد نبدي حراكا عندما نطلع على الاجواء الموبوءة التي (يربى) فيها ابناؤنا وفلذات اكبادنا ونظام الفصول التي يقضون فيها معظم أوقات شبابهم والادوات والاساليب التربوية المستخدمة بها • فتلك حالة أقل ما يقال عنها أنها خطيرة ، والواجب يفرض علينا ان نحللها لنكتشف اسباب خطورتهـا حتى نعالجها بما يلزم • فالتربية كغيرها من المظاهر الاجتماعية تتطور بتطور الزمان ، ولا يمكن ان نستخدم فيها ما كنا نستخدمه من أساليب وطرق منذ اكثر من نصف قرن • ومثلنا في ذلك مثل من يريد تحويل بعض المواد الاولية بنفس الطرق والاساليب التي كانت شائعة في القرن الاخير والحال أن مركبات تلك المواد نفسها قد تغيرت عما كانت عليه •

وفي اعتقادنا أنه لا يوجد انسان عاقل اللهم الا بعض المؤدبين الذين ذهبوا ضحية أساليبهم التربوية العتيقة ـ لا يدرك صحة ملاحظاتنا البسيطة هذه • فالحالة تدعـو الى الشفقة ، اذ قد تقضي على حياة أطفالنا وسعادتهم وبالتابع على التقدم البشري ، ومجموعتنا الديمقراطية •

ولقائل ان يقول : كيف يمكن تغيير هذه الاوضاع وتغليب العقل ، والتفهم لحل مشكلة دقيقة مثل هذه ، وفي راينا ان الحل الوحيد هو ان نبرهن بعملنا على اننا قادرون على القيام بتربية حية ، مستوحاة من الحياة ومتصلة بها . ولنذكر ان الطفل ليس بمخلوق سلبي وعلى هامش الحياة وهو ينتظر من المدرسة ان تثقفه وتعلمه ، وهو عاجز عن اي انتاج مقبول . بل هو كالنبتة تحمل في باطنها جميع امكانيات الاكتمال والازدهار . وعلينا ان نعينه على ان يصبح (رجلا) . فهو قادر على ان يحرر مقالات قيمة ، وقصائد شعرية نفيسة ، كما هو قادر على رسم لوحات زيتية رائعة ، ووضع الحان موسيقية وخلق مشاكل عويصة وحلها .

ذلك هو ما يجب ان نعرف به اعتقادا منا بان سلوك الطفل واستفادته في بيئة ثقافية هي غيرها في بيئة مدرسية مصطنعة .

وعلينا ان نربا بانفسنا عن ان نحكم على الطفل بنسخ النصوص الغريبة عنه والرضوخ لاوامر الكهل . فان كنا نعمل على ان يصير رجلا ، فلنعامله كرجل من المدرسة الابتدائية .

ويتعذر على الطفل - كما يتعذر على الكهول - العمل بصفة اعتيادية الا اذا توفرت بعض الشروط الاجتماعية والعاطفية والفنية . ذلك هو الجو الذي يجب ان يكتنف علاقاتنا مع الاطفال ويربط بين المربي والناشئة .

فخيبة المدرسة التقليدية ، والتاخر الذي يذهب ضحيته كل يوم تلاميذ الاقسام المكتظة ، والامتحانات السخيفة ، والطرق الصارمة ، كل ذلك سيدركه الجميع وحتى الاطفال والطلبة والاولياء انفسهم . وستاتي موجة جارفة على كل الاساليب البالية لتفوز المدرسة العصرية وطرقها وتحل محلها .

◆ الموسم المسرحي 1962 ـ 1963

يبدو ان الفرق التمثيلية اظهرت اعتناء اكثر من ذي قبل في اختيار المسرحيات التي تعتزم تقديمها في الموسم التمثيلي الحالي اذ ان اللجنة التي كلفتها كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار بالنظر في هذه المسرحيات لم ترفض منها ، حسب ما بلغنا ، الا عددا قليلا .

وهكذا فان فرقة بلدية تونس ، بعد تقديمها لمسرحية المعز لدين الله الصنهاجي في اكتوبر وفخ لرجل فريد في نوفمبر ستقدم زيادة الله الاغلبي في ديسمبر ثم بينيلوبي ، واللص وتوركاريه ، ورجعت له عقله ، وهانية ومهني ، ومدرسة الامهات ، ومصير شرير ، وضاع صوابي

وتقدم فرقة المسرح الشعبي مسرحيات ليلة من الف ليلة ، والواثق بالله الحفصي ، والجازية والطاغية ، وجاك البلاء يا غافل ، وفتحي وحياة .

واما « انصار المسرح » فانها قدمت في شهر اكتوبر شيخ المشحاحين ، وستقدم القاتلة واعظم امراة ، وبنات اليوم ، وشهداء الوطن ، والماضي ينتقم ومجنون ليلى

وفرقة « العهد الجديد » الفتية تقدم حيل جحا ، ومجنون ليلى .
وتقدم فرقة المسرح الافريقي صلاح الدين الايوبي ، والشكارة والبحر ، والجازية ، وعفيفة
وفرقة النور المسرحي تقدم هالة ، وام عباس
وقدماء تلامذة مدرسة التمثيل يقدمون « النمرة ، وفداء »
ويظهر جليا من هذه العناوين ان المستوى قد تحسن فيما يتعلق بالاختيار ، بقي ان نرى المستوى الفني وهو ايضا منظور فيه من طرف لجنة ثانية شكلتها كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار .

جاء فى العدد السادس من الزميلة السورية « المعرفة » تعليق على مقال اذ البشير المجدوب نشر بمجلة الفكر رأينا نقلـه لقرائنا مع شكـر ـرفة » القراء على لطيف عنايتهـا بالادب التونسى وأملنا فى ان يطرد ون بيننا لما فيه خير الآداب العربية :

« الادب فى تونس الشقيقة آخذ بالتطور والنمو ٠ ومن الملاحظ ان كافة صحف والمجلات التى تصدر هناك تفرد عددا كبيرا من أعمدتها وصفحاتها للفكر والادب على ان مجلة « الفكر » هى المجلة التى تهتم بالادب والفن دون المواضيع الاخرى ٠

وقد عالج الاستاذ البشير المجدوب ، موضوعا يكاد يكون موضوع الساعة بالنسبة للفكر فى العالم ، انه موضوع « الادب بين الانطواء والشمول » ٠

ويوضح السيد المجدوب ان الكاتب مسؤول لـدى نفسه أولا ومدعو الى تجسيم احساسه ونفخ الروح فى فكرته لان فى ذلك اكتمالا لذاته ٠ فما دام لم يبرم عملية الخلق يظل يشعر بالنقص فى شخصته فيندفع الى الكتابة اندفاع الباحث عن ذاته الغامضة المحتجبة متطلعا متحرقا الى معرفتها والكشف عنها٠

ويؤكد السيد المجدوب ان الكاتب مسؤول ايضا عن الغير يـرى ان من واجبه ارضاء حاجتهم الى المعرفة والجمال ٠ لانه اذا ما انتشى ساعة الوحى ، بما يختلج فى صدره من أحاسيس وخواطر أحس بأن لديه سرا ثمينا ٠ ذخرا نفيسا حريا بان ينعم ويسعد به الناس ٠ فيرغب رغبة ملحة فى اشراكهم فى افكاره واحساساته اعتدادا وانتصارا لها وامتاعا للغير لان فى طربهم مضاعفة لسروره واعجابه بفنه ٠

ويقول : الادب هو الاهتداء « الوحدة » الانسانية عن طريق الفرد ، واعنى بالوحدة الصلات القوية العميقة التى تجمع بين البشر فى حدود الزمان والمكان وايضا عبر هذه الحدود رغم اختلافها ــ اذ الوجود البشرى بوجه عام ــ اشبه بالدوائر بعضها اوسع من بعض مردها جميعا الى مركز واحد وليس بينها الا اختلاف نسبى ٠

ويخلص الكاتب فى مقاله الى القول : اذن «فخرافة » الاديب الذى لا يكتب الا لنفسه ان هى الا وهم باطل فما من كاتب جدير بهذا الاسم الا وهو ــ على الاقل ــ يخاطب طبقة من الناس ، وما انطواء النفس وانغلاقها دون محيطها الا قتل للادب وضرب من الانتحار الفكرى ٠ »

« الفكر » في المغرب الأقصى

جاء في العدد التاسع والثلاثين (السنة الاولى) من جريدة « الحسنى » التي تصدرها وزارة الشؤون الاسلامية بالمغرب الاقصى ويديرها الاستاذ محمد المدور ما يلي :

« مازالت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية توالي نشاطها المشكور في نشر الثقافة الاسلامية واحياء تراثها المجيد ، والتعريف بعظمة الاسلام وأمجاده على طريق الاذاعة والنشر . وقد أصدرت في الاسبوع الاخير مجلة راقية شهرية باللغة الفرنسية والانقليزية تحت عنوان : « الفكر » ثم اوردت الزميلة « الحسنى » عناوين المقالات المدرجة في العدد الاول »

ونحن اذ نرحب بالزميلة « الفكر » ونرجو ان تساهم في التعريف بالتراث الثقافي بالمغرب الاقصى الشقيق بصفة خاصة والمغرب الكبير بصفة عامة ، لا يسعنا الا ان نعبر عن ارتياحنا عندما نلاحظ ان عنوان « الفكر » مرغوب فيه الى هذه الدرجة وانه يعبر حقا عما ينتظره المثقفون في هذه الديار مع العلم بان جماعة من الاساتذة العراقيين اصدروا مجلة منذ ما يقرب من خمس سنوات سموها « الفكر » ايضا .

وما دامت خدمة « الفكر » هي غايتنا جميعا فلا بأس اذا انتحل اسم مجلتنا التي اصدرناها منذ سنة 1955 .

« جون شتينباك » يحرز على جائزة نوبل

احرز في هذه السنة على جائزة نوبل القصاص الامريكي المشهور جون شتينباك (John Steinbeck) صاحب الكتابين اللذين نال من اجلهما شهرة واسعة وهما (Les raisins de la colère) و (Des souris et des hommes) وقد اعتنى القصاص في كتبه بتصوير حياة الفقراء والكادحين في المدن والارياف فانكب يدرس هذا العالم بدقة متناهية مهتما خاصة بنماذجه البشرية مراوحا بين جد المأساة وبين مرارة المسلاة باحثا من خلال أشخاصه عن معنى الحياة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وكتبه لا تخلو من تشاؤم جعله يقول : « انا لا اومن الا بالفرد وبوحدته ولا تبقى للانسان الا حيويته ولكنها كنز لا ينفد » ولعل ما شاهده من فقر في بعض الاحيان الامريكية وخاصة في (Montery) في بلاد تزخر خيرات وأموالا هو الذي دفعه الى هذا التشاؤم .

وفاة الفيلسوف « غاستون باشلار » (Gaston Bachelard)

توفي « غاستون باشلار » الفيلسوف والعالم عن سن تناهز الثمانية والسبعين . كان من الكتاب العصاميين بدأ حياته كموظف في البريد والبرق والهاتف ثم احرز سنة 1920 على الاجازة في الفلسفة ثم دعي الى التدريس في السربون .

استمد باشلار عبقريته من اهتمامه بالحيوان وبالريف حيث قضى طفولته ففهم اسرار عالم الحيوان وكان يقول : « ان احقر الكائنات وحتى اشد الفراشات براءة لا يمكن لها وهي امام اجمل زهرة أن تمد خرطومها من دون إن تقوم بحركة فيها الهجوم والتحدي . كذلك الذكاء ... فان قوامه هو النظرة الحادة والعبارات النابضة حياة » .

كذلك استمد عبقريته من اهتمامه الفائق بادق حركات الجسم وخلجاته • ولكنه كـان الى جانب كل ذلك الفيلسوف والعالم فكتب : « الـروح العلمية الجـديدة » و « فلسفة اللا » و « تجربة الفضاء فى علم الفيزياء المعاصر » و « الماء والاحلام » •

غير ان « باشلار » وان اشتهر فى عالم الفلسفة فقد عـرف فيه القراء الشاعر الكبير فى حديثه الطويل عن الماء والارض والجو والنار • قال عن فن الملاطفة : « ان اليد هى حاسة الملاطفة كما ان الصوت حاسة الغناء • و لابد ان العمل والملاطفة كانا فى سحيق الازمان متحدين اتحادا تاما • اذ ان كل الاعمال الطويلة النفس تقتضى اللطف واللين • أنظر الى هذا الرحالـة عند حديثه عن البدائيين لقد قال : انهم يقضون شهرين كاملين فى صنع تحف يجلوها الصقل وبقدر ما تكون التحفة لينة الملمس بعد التهذيب والتشذيب بقدر ما تكون جميلة رائعـة بعد الصقل والتجلية • فيمكن لنا ان نقول ، وان شعر القارىء بغرابة القول : ان عصر الحجارة ذات الشظايا هو عصر الحجارة التى عنف بها القوم بينما عصر الحجارة المصقولة هو عصر الحجارة التى وقعت ملاطفتها • فالفظ الغليظ يكسر الصوان ولا يحكم صنعته بينما الذى تعهده بالصنعة فانه يحبه وليس حب الحجارة بهذه الصفة مغايرا لمحبة النساء » •

• الاعانة الثقافية لبلدان العالم الثالث (حديث مع الاستاذ جاك بارك)

نشرت المجلة الفرنسية (Croissance des Jeunes Nations) « نمو الامم الفتية » استجوابا للاستاذ جاك بارك (Jacques Berque) المدرس فى الكوليج دى فرانسا والمستشرق المعـروف بدرايته الكاملة لقضايا العالم العربى شرقه وغربه مما اعانه على تاليف كتابين فيه توخى فيهما الدقة والمنهجية العلميتين وقراء الفكر يعرفون الاستاذ بارك من مقالاته القيمة ومما ترجم عنه • ولذا رأينا من الفائدة ان نلخص لهم ما صرح به فيما يخص الاعـانة التى يجب ان تقـدم الى بلدان العالم الثالث :

س ـ هل ترون انه من الواجب نفى السياسة فى الميدان الثقافى فيما يخص الاعانة التى تقدم الى العالم الثالث

ج ـ هذا موضوع هـام بالنسبة الينا وبالنسبة للكثرة الكثيرة من هذه الشعوب لان الثقافـة الفرنسية لها مكانة كبيرة فى العالم الثالث ويجدر بنا الا نستعمل عبارة « نفى السياسة » بل عبارة « ارجاع الامور الى مجراها الطبيعى » لانه اذا لم نقم بهذا العمل فانه يمكن ان ان تكون عرضة الى خسران قد يكون مرا بالنسبة الينا وخطيرا بالنسبة لهذه الشعوب • فنحن نمر الآن بفترة يجتاحها الغضب ويكتنفها الغموض • ولقد ادان الدكتور فانون جملة كل ثقافة فرنسية فى بلدان ما وراء البحار فالفضله اذن هو فى ان حملنا على ان نناقش انفسنا الحساب ويجدر ان نقتفى آثاره فى هذا المضمار • اذ انه من الواجب التمييز بين ما يتحتم التخلى عنه والرمى به عرض الحائط وبين ما يجدر التمسك والاحتفاظ به فيجب اذن ان نكافح من اجل هذا وان نقاوم من اجـل ذاك • واذا تصدينا الى هذا النـوع من التحليل خطر ببالنا امران •

اولا : ان الثقافة الفرنسية مرتبطة بالشعب الفرنسى ارتباطا متينا فهى تساهم فى العالم بما اوتيت من حظوظ مبهمة غامضة •

ثانيا : انها فى خدمة ضروب من السياسة الفرنسية وهذا ما أشهر به ولا ارضاه •

هذا التمييز له اهميته اذ انه من المستحيل ان ننكر ان الثقافة الفرنسية فى الخارج لا ترتبط بكيان فرنسا نفسه وانها لا تخدم التوسع الفرنسى فانكار هذا يكون ضربا من النفاق • ومن حق الشعوب المتلقية للثقافة الفرنسية أن تقوم بثبت تضبط به ايجابية الكسب من سلبيته فى هذا الميدان • فهذا هو اذن التحليل الذى يفرض نفسه فى الحاضر على جميع الشعوب التى تخلصت من الاستعمار • فالتخلص من الاستعمار هو التمييز بين هذه الايجابية وهذه السلبية فى الماضى وفى الحاضر وللمستقبل بالنسبة لعلاقات شعب مع شعب آخر •

غير ان الثقافة المزدوجة بالنسبة للفرنسيين هى فى اكثر الاحيان خادمة لضروب من سياسات الحكومات الفرنسية فانظر مثلا الى موقف الحكومة الفرنسية من الاساتذة الفرنسيين الذين وقفوا الى جانب الجزائريين لقد عاقبتهم لانهم انحازوا الى المستقبل اى مستقبلنا نحن كما هو مستقبل المغرب • ففى هذه المشكلة ذهبت الاوساط الرسمية الفرنسية المكلفة بالسهر على ثقافتنا مذهبا يتنافى وهذه الثقافة • قل لى هى ملك من هذه الثقافة الفرنسية ؟ لا بد أن تكون ملكا للشعب الفرنسى حسا ومعنى ثم للمثقفين الفرنسيين الذين يجسمون هذه الرسالة وأخيرا الى هؤلاء الذين يتلقونها • فلا دخل اذن للحكومات فى الثقافة الفرنسية •

س ـ ولما سئل الاستاذ بارك عما اذا كانت هناك دول اخرى تعانى ما تعانيه فرنسا اجاب :

ج ـ بان الثقافة الفرنسية هى وحدها التى تعترضها صعوبات من هذا القليل

س ـ هل ترى ان الجزائر ستتنكر الى الثقافة الفرنسية

ج ـ سيقع فى الاول ما يشبه رد الفعل اى انه ستتخذ قرارات تبالغ فى نشر العربية لكنه سرعان ما يقع التوازن لانه لن تكون ثقافة فى بلاد المغرب باتم معنى الكلمة الا اذا كانت فرنسية عربية • انظر الى مصر فى احتفالها بطه حسين انها رجعت الى تشريك المستشرقين وخاصة الفرنسيين

س ـ ما قولكم فى « فقدان الشخصية » الذى ينجر عن تعلم اللغات الاجنبية

ج ـ الحديث يطول ويتشعب فى هذا الموضوع ولكن اقول : ان الشعوب كلها متجهة الى حذق لغات عديدة فليس من المستحسن ان تفكر الشعوب العربية فى سن اتجاه مغاير لهذا

س ـ ما هو الموقف الذى تقترحه للوصول الى هذا التوازن الذى تحدثت عنه

ج ـ هو ان يترك المجال للمثقفين الخلص والفنيين وغيرهم فى ان يتعاونوا مع هذه الشعوب كما شاؤوا بدون ان يتقيدوا بالسياسة الرسمية

س ـ ما هو الحل العملى الذى تقترحونه

ج ـ لتستقل ادارة الثقافة عن وزارة الخارجية ولتكن مستقلة مشتملة على من يمثلون الاوساط

الثقافية فى فرنسا اولا وعلى من يمثلون رواد الثقافة الفرنسية فى الخارج ثانيا وعلى من يمثلون الشعوب التى تتلقى الثقافة الفرنسية ثالثا .

◆ القى الاستاذ جورج بلنديى فى الخامس من نوفمبر محاضرة عن المذاهب السياسية الموجودة بجنوب صحراء افريقيا .

◆ فاز بجائزة بلمان (Pelman) فى علم الحياة « بيار دوزو » (Pierre Douson) المدير المساعد لمخبر علم الحياة والفيزيا بفرنسا .

◆ خصصت « لاقازيت دى لوزان » (La Gazette de Lauzanne) عددا بتونس صدر فى السابع من شهر اكتوبر الفائت . وقد اشتمل هذا العدد على مقالات تعرف بتونس فى القديم والجديد . فخصصت مقالات عن الفسيفساء القديمة والرسم والرسامين وصفحات نقلت فيها ما كتبه اشهر الكتاب عن تونس من شاتوبريان الى كلى (Klee) وقد قدم لهذا العدد الاستاذ جان دوفينيو (Jean Duvignaud) قائلا : « ان الروح التونسية هى ثمرة نفحات متتالية متعددة : نفحة الاسلام ونفحة الاسبان والرومان واليونان ونفحة هذه القبائل البربرية التائهة التى كان لها اخلص وانبل قسط فى تغذية الروح التونسية ...»

◆ احداث جائزة الدولة للانتاج الفكرى بالمغرب الاقصى

تقرر خلق جائزة للدولة ـ بمقتضى قرار اتخذه وزير التربية الوطنية يوم 18 اكتوبر ـ تتراوح قيمتها بين 2000 و 5000 درهم ستوزع سنويا على ثلاث مختارات فكرية تختارها هيئة التحكيم من بين المواضيع التى ستتناول مظاهر الحضارة المغربية والتى ستطرق احد الفروع الثلاث التالية :

1 ـ الادب : مسرح ـ شعر ـ قصص ـ محاولات نقدية ـ ترجمة روبورتاج واستذكار عن الاسفار

2 ـ العلوم الاجتماعية : انسانية ـ فلسفة ـ دين ـ اخلاق ـ علم النفس الانسانى والدينى البيولوجيا التيكنولوجيا ـ التاريخ ـ الجغرافيا الانسانية والطبيعة ـ علم الاجتماع ـ علم الاجناس العلوم السياسية والاقتصادية ـ الحقوق والعلوم الادارية

3 ـ العلوم التطبيقية : رياضيات ـ علم التنجيم ـ فيزياء ـ كيمياء ـ طب ـ علم الحيوان علم الزراعة ـ علم النبات الجولوجيا ـ هندسة ـ علم المدنية

ويراس السيد الوزير او ممثلوه لجنة مستقلة ستحدد تنظيم وتوزيع جوائز المغرب كما تحدد تحت اشراف هيئة التحكيم توزيع الجوائز على الانتاج المحرر باللغة العربية والانتاجات المحرزة باللغة الفرنسية والاسبانية او الانقليزية التى ستقبل فى المسابقة بصفة انتقالية

وكاساس للقبول فى المسابقة يشترط ان يكون المرشح مقيما بالمغرب منذ سنة على الاقل او ان يكون قد استقر فيه بصورة فعلية مدة عامين على الاقل وبدون انقطاع فى حالة عدم توفر الشرط الاول .

والانتاجات يجب ان تكون مطبوعة او موزعة منذ اربع سنوات على الاكثر لغاية 31 دجنبر من السنة التى اعلن فيها عن جوائز الدولة .

وستحدد لوائح المرشحين وطلبات الترشيح بتاريخ 30 سبتمبر من كل سنة وتوزع الجوائز ما بين ستة عشر وسبعة عشر دجنبر .